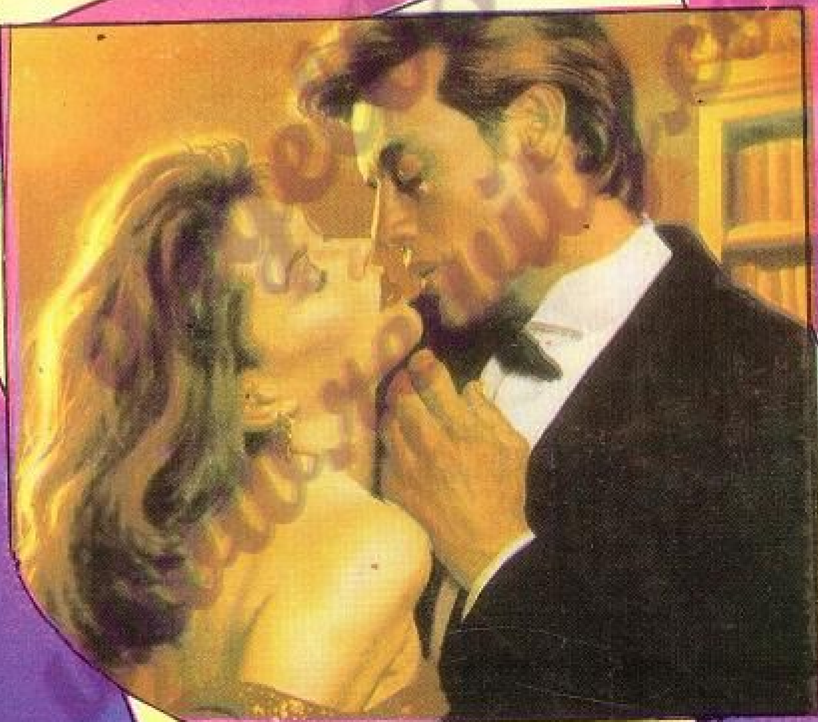
روايات ديانا

ديانا
DIANA

خيّاط السيّدات



دار اليوسف
بيروت - لبنان

خياط السيدات

اليزابيث آشتون

لقد كانت اثارة عظيمة بالنسبة الى رينيه عندما وقع عليها نظر الخياط النسائي الشهير ليون سبستيان ووجدت نفسها قد نقلت من سيرة حياتها المتواضعة كعارضة لمصور الى الخياطة الباريسية والعالمية الساحرة والمثيرة. لكنها سرعان ما بدأت ترتاب بأنه كان هناك للوضع اكثر مما تراه العين، عندما ادركت انها كانت صورة مهلكة لمانيكان النجمة السابقة لمسيو سبستيان، انطوانيت الجميلة. ربما بكل بساطة ارادها بديلة لعارضته الشهيرة ـ لكن لم يطل الامر قبل ان تسمع رينيه الاشاعة بأنه قد احتاجها بديلة لانطوانيت في طرق اكثر من واحدة!.

لفصل الأول
الغريب

ورنتون لتتطلع الى واجهات محل كبير
لعيد الميلاد. ما لفت نظرها كان
لثلج مع تماثيل شمعية تظهر أحدث
خلفية مرسومة لجبال الألب. نظرت
المرسومة بقليل من الذكاء؛ أرادت
تأملت ذات يوم ان وظيفتها كعارضة
الى مهمات أجنبية. بعض الفتيات
ذهبن الى فرنسا، وايطاليا وحتى

المغرب في مجال مهماتهن، لكن لغاية الآن الرحلة الاكثر اثارة التي جاءت في طريقها كانت واحدة الى الهضاب المرتفعة، وتلك كانت معوقة بواسطة الانزعاج من عرض الاقمشة الصوفية في يوم حار غير عادي. اكثر من اي مكان آخر أرادت الذهاب الى باريس، لأنه رغم ان عواصم اخرى بما فيها روما ولندن كانت تنازع الزعامة الفرنسية في الخياطة للسيدات، فباريس لا تزال موطن خبراء الازياء والموضة، وغرض رينيه كان الثياب.

ستأخذ اجازة الى هناك اذا كان باري سيذهب معها، لكن باري اعلن ان لا شيء سيقنعه بالذهاب الى الخارج. لأنه يرتاب بالعادات الاجنبية والاطعمة الاجنبية، وقال بأنه سيشعر بالحماقة اذا لم يستطع فهم اللغة. كان صديقها وكانت ستلتقيه على الغداء في تلك الامسية لعيد الميلاد، عندما كان سيقلها الى وودلي في مقاطعة سوفولك، حيث تعيش عائلتيهما. عرفت انه في اليوم السابق سيعمل على تحضير السيارة، وملئها لتكون جاهزة للطريق، وفي تلك اللحظة سينجز بطريقة نموذجية كل ما يجب ان يعمل في مكتبه قبل ان يشعر بأنه حر ليغادره؛ لقد كان دائماً ذو ضمير حي، لا يترك اي شيء للفرص، وكان احياناً يتهيج من طرقها الخاصة العشوائية. عرفته منذ كانا طفلين معاً ولديها احترام كبير

لأمانته واستقامته؛ لم تخرج مع اي شاب آخر.

انتقلت الى الواجهة التالية التي تظهر عرضاً لنوفوتيه عيد الميلاد ـ وكان لديها وقت لكي تقتله قبل ان تلتقي باري ـ مرآة خلف الهدايا الثمينة أظهرت لها انعكاسها. معطفها الفرائي الاسود، بالرغم من الاسم المضلل، كان اصلاً على ظهور أرانب متواضعة، وحتى مع ذلك فهو قد كلفها اكثر مما تستطيع ان تتحمل بارتياح، لكن الفراء الحقيقي كان هو الشيء الوحيد الذي يبقيها في الواقع دافئة في رحلاتها حول البلاد، وهو دائماً يبدو جميلاً. قبعة مخملية سوداء صغيرة تناسب فوق شعرها العسلي. وجهها الشاحب عادة كان بيضاوياً كاملاً؛ عيناها الخضراوان كانتا مهدبتان برموش سوداء طبيعية، تبدو قاتمة، وكانت تناقضاً خلاباً مع الشعر والبشرة. بالنسبة للباقي، كانت فوق الطول المتوسط ونحيلة جداً كما تحتاج بالنسبة الى عملها.

نظر اليها شاب عندما جاء ايضاً ليقف بجانب الواجهة؛ ارتدى معطفاً من الجوخ مع قبة من جلد الحمل مرفوعة ضد الريح غير الموجود، وقبعة سوداء طرية مسحوبة الى الاسفل فوق عينيه. كل ما كان منظوراً كانت ذقن سمراء ثابتة وفم محدد المعالم. عيناه المظللتان ذهبتا الى الانعكاس للفتاة بجانبه في الواجهة، وبدأ يتمتم شيئاً ما تحت انفاسه. التفت لينظر

الى الفتاة نفسها، وكأنها مدركة لنظرته اليقظة، استدارت لكي تواجهه. هذه المرة كانت تمتمته مسموعة: «انه ليس مستحيلاً!».

خفضت رينيه عينيها بسرعة وانحنت لتلتقط حقيبتها التي كانت قد انزلتها بينما كانت تتفرج على الواجهة، لكنه كان سريعاً جداً لها.

«اسمحي لي!» كانت لديه لهجة خافتة جداً، اكثر من مسألة تلحين، والتي خدعت بأنه لم يكن انكليزياً، والعينان السوداوان تحت حافة قبعته كانتا لا تزالان تحدقان اليها كأنها كانت شبحاً. بسرعة اخذت حقيبتها من قبضته، متمتمة شكرها. مع نظراتها المميزة ولم تستطع مقاومة الاهتمام المثير وكثيراً ما كانت قانعة بما سيكون. عندما أرادت ان تسرع مبتعدة قبل ان يستطيع الغريب من القيام بتقدم، استدارت بسرعة، بسرعة فائقة ـ كان النهار رطباً وكئيباً، وكان الرصيف لزجاً؛ اصطدمت بسيدة بدينة التي كانت منطلقة بسرعة باتجاهها، فتزحلقت ووقعت. في الحال كان الشاب بجانبها، يساعدها للوقوف على قدميها.

«يا مدموازيل، انت لم تصابي بأذى؟» اذن هو كان فرنسياً.

«لا، انا على ما يرام» نظر بكآبة الى ثيابها الضيقة؛ كانت مخططة بالوحل؛ لحسن الحظ لديها اخرى في

حقيبتها، وكانت هناك غرفة للسيدة في نفق تحت الارض.

«لكنك ترتجفين، وتحتاجين وقتاً لكي تستعيدي... دعيني آخذك الى مكان ما... ربما كوب من الشاي؟».

كان لا يزال ممسكاً بذراعها، وكانت ترتجف اكثر مما اكترثت لتعترف، كانت سعيدة لمساندته. بدأ يرشدها عبر الجماهير المتدافعة، محاولاً حمايتها بجسمه من الاصطدام، وعندما قادها عبر باب متأرجح الى ردهة فندق، لم تقم باعتراض. لقد كان فندقاً مشهوراً ومطعم، وفوق مستوى دخلها؛ وبدا رفيقها كأنه في بيته هناك. مشيراً الى باب في البعيد، هو قال: «هناك الغرفة المعزولة اذا رغبت في ترتيب نفسك... في نفس الوقت انا سأطلب الشاي».

كان الوقت لا يزال باكراً للشاي، لكنها كانت واثقة تماماً انه اذا طلبه فسيحصل عليه؛ كان من ذلك النوع. عندما بدلت ثيابها الضيقة، تجادلت مع نفسها اذا كانت تستطيع اعطاء فارسها زلة، لكنها قررت بأنها ستكون وسيلة تافهة. اهتمامه قد لا يكون مهماً، وقلما يستطيع القيام بتجاوزات في ردهة مزدحمة؛ وستخبره بأنه يتوجب عليها ان تغادر على الفور للقاء باري.

عندما عادت، كان قد خلع معطفه وقبعته ورأت انه

كان نحيل البنية، وشاباً عريض المنكبين وضيق الجانبين، وأطول منها برأس. الشعر أسود وكذلك العينان في وجهه الاسمر، مع بروفيله الشبيه بالنسر. الشاي في ابريق فضي كان على الطاولة الصغيرة التي كان جالساً عندها. قفز حالما رآها، بينما نادل متذلل سحب لها كرسيها؛ أنزلت معطفها عن كتفيها، وأجلست نفسها، والغريب باشر بصب الشاي. كانت ممتنة للشاي الساخن عندما مرره اليها، ونظرت من فوق كوبها، والتقت عينيه، اللتين ما زالتا تدرسانها بانتباه، ولغيظها توردت.

كان هذا الرجل جميلاً جداً، وساحراً لا يمكن اغفاله. رينيه ترتاب بكل الرجال الساحرين الوسيمين، ومع سبب.

«هذا افضل» قال: «انت الآن تنعشين نفسك. الانكليزي يجد كوب الشاي ترياقاً لكل الامراض».

«هل انت، يا مسيو، فرنسي؟».

«لكن نعم. انا أقوم بزيارة قصيرة لبلدك في عمل. انا اجدها، كما كان متوقعاً، كئيبة ورطبة».

«انا افضلها من اجل الثلج» اخبرته رينيه: «الثلج يبدو جميلاً على بطاقة عيد الميلاد، لكنني اشمئز من المادة، انا اكره البرد».

ابتسم، وابتسامته كانت مدمرة.

«انت مثل زهرة الاوركيد، نبتة البيوتات الحارة» اقترح: «لكنني مخطيء، انت لست غريبة مثل الاوركيد، لكنك منعشة كالربيع، زهرة ربيع او نرجس».

لقد اصبح هذا شخصياً جداً لذوق رينيه. قالت ببرود: «انه لطف منك بأن تساعدني، لكنني يجب أن أطير في لحظة. يتوجب علي مقابلة صديق».

«صديق؟» رفع حاجبيه: «هل تعنين خطيبك؟».

«ليس بعد» اعترفت بصراحة: «هو سيأخذني الى البيت لتمضية عيد الميلاد، فنحن نعيش في الريف».

نظرة استحسان أخرى سريعة: «انت لا تبدين كفتاة ريفية».

«اوه، لكنني كذلك» صرحت رينيه: «ريفية نظامية عندما ارتدي جزمتي. جماعتي هم بستانيو مشتل».

كان هذا صحيحاً في الصميم. خالها، الذي أمضت معظم طفولتها في منزله، كان بستاني مشتل. عمداً نشدت تضليل هذا الغريب، ولاحظت نظرته من الاشمئزاز عند ذكر الجزمة. لو أنه اكتشف انني كنت عارضة أزياء وعشت في لندن، فقد تكون لديه افكار، ورينيه كانت مصممة بأن تعارفهما يجب ان ينتهي هناك وعندئذ؛ رجل فرنسي ساحر كان النوع الاخير من الرجال الذين أرادت ان تصبح متورطة معه. رأت مع

بعض التسلية انه كان يبدو حائراً.

«الانكليزيات يتكيفن بشكل مدهش» تمتم، بينما كان ينظر الى يديها البيضاوين النحيلتين: «لكن لا تقولي لي بأنك بستانية. ذلك لا يمكن أن أصدقه».

أيضاً نظرت الى يديها الجميلتين: «لا... حسناً، انا اعمل الحسابات، والطباعة وهلم جراً».

عندما التقت الاعماق السوداء لعينيه، تسارعت دقات قلبها بدون حساب؛ بدأت ترتدي قفازيها.

«انت ضائعة بقيامك بالعمل الكتابي» اخبرها.

«انه ليس مهماً ما اقوم به» قالت: «لأنني، بالطبع، سأتزوج فعلاً».

«الى هذا الصديق؟».

«بالضبط» اعطته ابتسامة عذبة عندما ساعدها على ارتداء معطفها: «الآن انا في الواقع يجب أن أركض» نظرت الى ساعة معصمها: «أشكرك مليون مرة، ذلك الشاي انقذ حياتي».

ما زال واقفاً خلفها عن قرب، التقطت رائحة للتبغ التركي والأولد سبايس. الكلمات الهشة ماتت على لسانها ومرة أخرى كان قلبها يخفق سريعاً بانزعاج.

«حسناً، يا مدموازيل» قال، ثم بتعجب: «يا مدموازيل، انت تذكرينني كثيراً بفتاة عرفتها مرة».

سحبت نفساً حاداً. من بين كل افتتاحيات الالعاب،

يجب ان يكون هذا هو الاسخف! قالت بخفة:

«انا سمعت بأنه يقال اننا جميعاً لدينا ضعفاً في مكان ما، وأنا يجب أن أكون ضعف صديقتك. الآن انا يجب ان اركض».

«آه حسناً!» هز كتفيه بإعياء، ولحق بها الى المدخل: «هذه كانت بداية ساحرة، لكن، واأسفاه، قصيرة جداً. الآن انت تذهبين الى براري الداخل الانكليزي، والليلة أنا اطير عائداً الى باريس» كانت مرتاحة لتسمع ذلك: «ربما التقينا ثانية ذات يوم».

هما وصلا الى الباب المتأرجح، ومدت يدها.

«أنا لا اعتقد بأن ذلك محتمل».

أخذ يدها ذات القفاز في قبضة حازمة.

«من يدري؟ اعتقد نوعاً ما بأننا سنلتقي، لذا انا سأقول فقط اورفوار، يا مدموازيل».

ما زال ممسكاً بيدها وكانت رينيه مدركة لرعشة طفيفة سرت على طول عروقها؛ قامت بحركة لكي تسحبها، وفي الحال أطلقها.

«وداعاً» قالت بحزم، واندفعت في طريقها الى الشارع. كان عليها ان تقاوم حافزاً لتنظر الى الوراء، لترى، اذا كان يراقبها، عندئذ، عندما انعطفت عبر الطريق، موجة من حركة السير فصلته عنها.

«ساحر، اذا كان هناك واحد» فكرت، عندما نزلت

الى النفق تحت الارض: «وغير مخلص تماماً، وأنا بالتأكيد لا أرغب في رؤيته ثانية، فهو ساحر مزعج جداً!».

كانت ستلتقي باري في الضواحي الشمالية، حيث يقيم، وعندما دخلت النفق، الذكريات التي أنعشها الغريب ارتفعت الى عقلها، الذكريات لذلك الساحر الآخر الذي ربى فيها مثل هذا الارتياب برجال من نوعه ـ والدها، جيرفاس ثورنتون.

رينيه أحبته لدرجة العبادة، وكانت واثقة ان حبها كان متبادلاً حتى تخلى عنها، تاركاً والدتها لتربي طفلتيها الصغيرتين كأفضل ما تستطيع. عرفت السيدة ثورنتون ان زوجها عينه جوالة، لكن عندما عاد اليها، مستعطفاً ونادماً، كانت دائماً تصفح عنه، جزئياً لأجل الطفلتين، وجزئياً لأنها لا تستطيع مقاومته، لكن بعد المناسبة الاخيرة لم يعد، ولا كانت قادرة على اقتفاء آثاره. شقيقها، الذي يمتلك مشتلاً في وودلي، قدم لها بيتاً، وأخذت عملاً جزئياً للمساعدة في دعم طفلتيها. عندما انقضت فترة الهجر طلقت جيرفاس وفعلاً تزوجت ثانية.

لقد كانت رينيه، ابنة الثمانية أعوام، التي كانت محطمة القلب، والتي لم تستطع فهم خداع والدها. استغرقت وقتاً طويلاً لتتغلب على حزنها، ومع انه في

الواقع صورة جيرفاس ثورنتون أصبحت متلاشية، فإن ذكرى الألم الذي سببه لها بقيت واضحة وحادة.

عائلة هولمز عاشت في الباب التالي لعائلة ثورنتون، وباري، اكبر منها بثلاث سنوات، كان دائماً بمثابة اخ كبير لها، حتى اصبح كبيراً كفاية ليشكل اتصالاً حميماً. كان يعمل لمؤسسة من المحاسبين القانونيين وكان عليه ان يجتاز عدة امتحانات قبل ان يستطيع ان يصبح معروفاً. منذ ان ذهب كلاهما الى لندن في نفس الوقت تقريباً، فكان لابد من ان يخرجا معاً. اخذ باري نظرة متشوقة للحياة، وتعني الاستمرار. كان مرتاحاً ليجد ان رينيه لا تظهر ميلاً لحضور الحفلات الصاخبة او الاختلاط مع الطلاب الطويلي الشعر. خروجهما شمل تناول وجبات سريعة في المقاهي، والمقاعد الارخص في دور السينما والحفلات الموسيقية، وكره الصرف المبذر، حيث انه كان يدخر بقسوة لأجل المستقبل. رينيه لم تكن دائماً تقدر اقتصاده بالجملة، لأنها أحياناً كانت تشتاق الى ليلة باهظة التكاليف في الخارج مع كل الزركشات، لكنها دائماً كبتت ذلك بإخلاص. باري لم يكن لديه شوق تجاه الاضواء الساطعة والزركشات، ولا شك كان مصيباً ليكون هكذا مدركاً الترفيه الباهظ التكاليف، وفوق كل ذلك. ارومانسية، يمكن شراءهما بثمن باهظ جداً. كانت دائماً مغرمة جداً به، وعرفت

انه يحترمها بمحبة؛ كلاهما لديهما تجارب وخبرات متشابهة، وظهرا مناسبين مثالياً. عند اكتمال الوقت، هما ينويان الزواج.

ومع ذلك كانت هناك لحظات عندما تشعر رينيه بغموض انه كان هناك شيء ما مفقود. لا تريد ان تقع في الحب، فهي ترتاب بالحب، وهو قد يؤلم كثيراً اذا كان في غير موضعه، وآمنت بأنها نفسها غير قادرة على العاطفة القوية منذ هجر والدها، لكن كانت هناك لحظات، مثل عندما أمسك الغريب يدها، عندما لمحت عالماً من المشاعر التي كانت مغلقة لها، عالماً الذي يمكن ان يكون جنة او جحيماً. منذ فترة طويلة، قررت انها لا تريد ان ستكشفه. فضلت الامان، وباري. عرفت بالفطرة ان الغريب صاحب العينين السوداوين المعبرتين يحمل مفتاحاً الى مثل هذا العالم، ولذلك لم تسأل عن اسمه وتأملت بأن لا تقابله ثانية.

كان باري هولمز من النوع الانكليزي النموذجي الاشقر ذو عينين زرقاوين وشعر اشقر، الذي سيلتف لو تركه على هواه. كان قصيراً وبديناً، فقط أطول من رينيه بحوالي بوصة. كان دائماً معجباً بها، ويؤمن بأنها ستكون فتاة مدركة جميلة، التي في نفس الوقت كانت مزخرفة. اعتبر بأنها ستكون له زوجة موضع الاعجاب عندما يحين الوقت، الذي سيكون عندما تصبح

امتحاناته خلفه. كان يبدو منشرح الصدر ومسرورا عندما انطلق بالسيارة خارج لندن مع رينيه جالسة بجانبه في سيارته الفوزد المتوسطة العمر باتجاه إيست كوست. المناظر الطبيعية بدت مخيفة تحت سماء ملبدة بالغيوم، على الاشجار التي تدفع أغصاناً سوداء خالية من الاوراق؛ وأرض محروثة تلمع مع الرطوبة، والمراعي كانت لا تزال بنية بالاعشاب الذابلة، لكنها على الأقل كانت لطيفة. ليس ذلك هو الذي اسعد باري، الذي كان يئن من نقص الجليد للتزلج، حتى عبرت رينيه عن تفضيلها للشتاء اللطيف.

«نبتة منزل دافيء صغيرة، اليس كذلك انت، يا رين؟» كان نصف مستهزيء، نصف مساير، غير مدرك ان ذلك الرجل الآخر قام بملاحظة مشابهة في ذلك النهار، فقط بمزيد من الرشاقة. اخبرته رينيه باختصار انها وقعت والتقطها غريب، الذي قدم لها الشاي؛ لم تصف الغريب: «انت اصبحت ناعمة منذ ذهبت الى المدينة».

«ليس القليل منها. انا لا أحصل على الكثير من الفظاظة في الاستوديوهات المعرضة للتيارات الهوائية، انا استطيع ان اقول لك. انا يبدو لدي دائماً عرض ازياء للثياب الارق في الطقس الابرد».

عند ذكر عملها، عبس باري. لقد كان الموضوع

الوحيد الذي يختلقان عليه. اصبح العبوس اكثر حدة عندما بلغا نهاية الطريق العام وشاحنة ذات ثمانية عجلات سدت مرورهما على الطريق الضيق، وبدون امل في امكانية العبور الى الامام بطريقة ما. مذعناً للزحف، قال باري بغضب:

«اتمنى لو تتخلين عن ذلك العرض الاحمق للأزياء».

«ذلك غليظ قليلاً ليصدر عنك، عندما يكون انت الذي بدأ به!».

«أنا؟» كان مندهشاً.

ذكرته بالاجازة التي أمضياها في برايتون الصيف قبل الاخير، مع شقيقتها كريستين، عندما حثها على الدخول في مسابقة الجمال. هما كانا قد شاهدا اعلاناً على لوحة، وصرح أنها تستطيع ان تعطي نقاطاً لأية فتاة اخرى. ألحت بأنها لن تكون امامها فرصة. لكن كريستين أحكمت قبضتها على النزاع بتشجيعها على الدخول. بعد عدة جلسات باردة على حافة بركة سباحة، لدهشتها، وجدت نفسها قد ربحت. فكرت ان عدداً من الفتيات الاخريات كن اكثر جمالاً منها، غير مدركة ان لونها غير العادي مع صفة محددة لا يمكن تحديدها يمكن وصفهما فقط كجاذبية مغناطيسية، جعلتها تبرز بين الكثير من الجمال التقليدي. النتيجة

للانتصار كان عرضاً لوظيفة عارضة ازياء، وعندئذ اكتشف انها كانت فوتوجنيك، وبدأت الصعود الطويل للسلم باتجاه النجاح.

«اوه، تلك!» كان باري محتقراً: «انت تعلمين انك قمت بذلك فقط على سبيل الضحك. انا لم تكن لدي فكرة انك قررت الدخول بجدية على عالم عرض الازياء».

«انه بالاحرى قد فرض علي» قالت بخفة: «وأنا كنت دائماً متلهفة للموضة. اي شيء آخر يجب ان أقوم به؟ الطباعة، مثلما تعمل كريس؟».

«انها ستكون وظيفة نظامية. انا اعتقدت انك ستجدينها افضل من الانتظار على الهاتف لكي يتصل بك وكيلك».

«ذلك كان شيئاً من الماضي. أنا الآن لدي اتصال جيد. ان معلنين محددين يرسلون دائماً في طلبي عندما يحتاجون الى عارضة أزياء».

تمتم باري بشيء ما محتقر حول تكوين رأسمال من وجهها وقوامها، وركز على قيادته. استقام الطريق، وهما انطلقا امام الشاحنة مع ضغط مستمر على البوق. راقبت رينيه بروفيله مع ابتسامة خافتة. عرفت ما الذي كان ينغصه. بالنسبة الى عقله التقليدي، كان عرض الازياء ليس محترماً تماماً، لكنها لم تكن تعني التخلي

عنه مقابل كراهيته فقط عندما كانت قد بدأت تأخذ طريقها قدماً. اذاً وعندما يصبحان مخطوبين، قد تلبي رغباته، لكن الوقت لم يحن بعد. كانت فقط في الحادية والعشرين، وتريد ان تمرح قليلاً قبل ان ترتبط.

«أنا فقط بدأت أجني مالاً جيداً بعد عدة نكسات» اخبرته: «أنا اريد ان احصل على مردود على ما استثمرت».

زمجر باري؛ يجب ان تحصل على وظيفة، بالطبع، حتى يصبح مستعداً لدعمها، لكنه بثقة يتوقع لعرض الازياء بأن يفشل. الآن، لتكدره، بدت بأنها تنطلق ـ واكثر، بدأت تتحدث عن مستقبلها، الذي يعتبره غير ضروري.

«انت ستفعلين خيراً بالحفاظ على مدخراتك» اعلن: «انا لن اتخيل بأنك تريدين ان تكوني فتاة مستقبل هناك مستقبل واحد للمرأة... الزواج».

«هناك رأيان حول الموضوع» ألمحت: «لكن ا تقلق، سوف اتخلى عنه عندما اتزوج، مع ان الطري يبدو طويلاً أمامي».

نظرت اليه بارتياب. فوق كل الاشياء تريد ب وأطفالاً... في الواقع، وباري وعد بأن يكون مزو مثالياً، لكنه كان يميل ليكون غامضاً حول المستقبل. هما كانا يدخلان الى مدينة السوق، وكانت الشوا

مزدحمة بالناس من المحلات والمكاتب الفارغة. كان باري سائقاً جيداً وحذراً، ولهذا كانت رينيه شاكرة، لأنها أرادت ان تصل في قطعة واحدة. عندما دخلت أضواء الشارع الى السيارة، رأت انه كان يبدو منزعجاً.

«انت تعرفين كيف يكون ذلك، يا رين... امتحاناتي».

«نعم» قالت بحدة، غاضبة فجأة: «انت دائماً تعزف عليها. انا افترض انك عندما تجتازها جميعها، وعندما تصبح متأسساً، انت قد تأتي وتطلبني للزواج... اذا كنت لا أزال موجودة».

تجمد باري على عجلة القيادة، وتجاوز سيارة عابرة امامهما، وتحقق من بعض الاطفال الخارجين من باص، وأخيراً غادرا المدينة. عندئذ قال بقلق:

«ماذا تعنين بقولك، اذا كنت لا أزال موجودة؟ انت فتاتي، اليس كذلك؟».

لم تجب، كانت تعجب ما الذي حفزها لتتكلم كما فعلت. كانت تعلم ان امتحانات باري كانت هامة، كانت مستعدة تماماً للانتظار؛ هل كان ذلك هو اللقاء مع الفرنسي الرومنطيقي الذي سرعها لتحاول ان تهزه من غبطته؟.

«يا رينيه، ما الذي حدث لك؟» اصر: «انا اعتقدت انك تفهمين كم انا مرتبط؟».

«بالطبع انا افهم، انه فقط. . . انت جاد، اليس كذلك؟».

انه لم يكن ما حركها لكي تغيظه، لكنها لا تستطيع تفسير الدافع، الذي كانت قد ندمت عليه.

«أنا جاد تماماً. اقول لك ماذا، يا رين، دعيني اخطبك».

«اوه، لا!» ثانية تعجبت لانكارها المتسرع، لأنه بعد كل ذلك هما كانا بحكم المخطوبين. حاولت تعديل ذلك: «أنا اعني، الخطوبة الطويلة هي بمثابة جهد وكل شخص يسأل متى سنتزوج. افضل بكثير ان نترك الاشياء كما هي».

وافق باري، دون ان يدري اذا كان مرتاحاً او نادماً. حذراً بطبيعة، تقلص من ربط نفسه بدون نقض، لكن رينيه هزته، وأراد طمأنتها.

ظهرت إبسويش كوهج احمر قاني تحت سماء ملبدة قاتمة. هما دارا حولها بطريق دائري، مع تهيج من التوقف المتواصل عند مفترق الطرق.

«عار ان لا يكون والدك في البيت لعيد الميلاد» قال باري، ناشداً موضوعاً اقل تعارضاً.

«زوج امي» صححته رينيه بحدة. المغامرة الثانية للسيدة ثورنتون في الزوجية كانت مع روبرت زوان، الذي التقته عند آل هولمز. كان في الاسطول التجاري

وكثيراً ما يكون بعيداً عن البيت. كان نقيض زوجها الاول، لكن هذه المرة هي أيضاً أرادت الامان. رينيه وكريستين تقدمتا معه بشكل ممتاز، واحبتا شقيقهما الصغير مايك، الذي وصل قبل اربع سنوات. مثل باري، كان روبرت صلباً ومعتمداً، ورينيه وافقت عليه، لكنه لن يستطيع اخذ مكان والدها.

«زوج امك» تقبل باري التصحيح: «شاب عظيم. الا تتمنين لو انه كان والدك الحقيقي؟».

«لا» قالت رينيه ببساطة. بقدر ما آلمها غريفاس، لن تنساه تماماً: «بوب هو على ما يرام» وافقت، لأنه كان معيناً بواسطتها هي وشقيقتها: «لكنه مختلف. على اي حال، هو قبطان رحلة بحرية للكاريبي ولديه الكثير من الوقت، وأنا فقط اتمنى لو كنا جميعاً معه».

تباطأ باري عندما وصلا الى الشارع الرئيسي الضيق لمدينتهما. عند طرفه الاخير، انعطف صاعداً التلة المؤدية بعيداً عن مصب النهر، حيث يقف عدد من المنازل الحديثة خلف الطريق. انعطف عند بوابة المدخل لاحداها.

«ها نحن هنا».

«هل ستدخل لفترة قصيرة؟».

«فقط لكي اقول هاللو».

الستائر غير المسحوبة لغرفة الطعام اظهرت شجرة

عيد ميلاد كبيرة مزينة واقفة عند النافذة. عندما نظرت رينيه اليها بتقدير، فتح باب القاعة وكريستين، يلحقها مايك، اندفعا الى الخارج. خلفهما، السيدة زوان حلقت بارتياب.

«انه هما! انا قلت انهما كانا هما!» صرخ مايك بفرح: «يا رين، هل احضرت لي اية هدايا؟».

«حقاً، يا مايك!» عاتبته والدته: «يا عزيزتي رينيه، لا تعيريه اية اهتمام».

«أنا لن اعيره» ضحكت رينيه: «لكن بعد كل ذلك، الهدايا هي لعيد الميلاد، اليس كذلك، يا مايك؟».

دخل باري قوس الضوء من الباب الامامي، حاملاً حقيبتها. كريستين نظرت اليه بانتقاد. كانت مراهقة طويلة الساقين، مع عرف من الشعر الاشقر؛ كانت ترتدي بنطلوناً اسود ضيقاً وكنزة مخططة.

«هاي، باري!» قالت: «انت تبدو اشبه بمرتكب جريمة، لماذا لا تدع شعرك ينمو قليلاً؟ أنا احب اصحاب الشعر الطويل. انت يمكنك حتى ان تربي لحية. يا رين، ألا تحبين باري بلحية؟».

«انها لا تنفع في المكتب» قال بحزم: «انا يجب ان ابدو معتنياً بنفسي، وقليل من الاعتناء لا يسبب اي ضرر».

ضحكت كريستين ومرجحت عرفها: «أنا احب ان

اكون معها» قالت: «وانت محروم فيها» هما كانا عدوين قديمين؛ اعتبرت انه كان جذراً مربعاً، وتعجبت ما الذي رأته شقيقتها فيه؛ واعتقد انها وقحة وشاذة.

«توقفا عن الصراع، ايها الاثنان» امرت السيدة زوان: «لا تعرها اهتماماً، يا باري، ادخل وتناول شراباً».

كانت السيدة زوان دائماً تخبر صديقاتها بتجاهل طفلتيها، فكرت رينيه؛ كان ذلك اسهل من محاولة السيطرة عليهما. عندئذ وبخت نفسها بسرعة. والدتها لم تكن امرأة قوية، ومع ان الصغير مايك يكون في رعب من والده عندما يكون في البيت، فكريستين لم تكن ابنة روبرت، ولا أحد لديه سيطرة عليها.

«عليها ان تكافح بنجاح معنا لوحدها» عذرتها رينيه بتعقل: «الحمد لله فباري لن يهجر اطفاله».

راقبته عندما وقفت تتحدث الى والدتها، رأسه الجميل في بروفيل لها، والضوء وجد وميضاً من الذهب في شعره. كان يشرب، وقد يكون متهيجاً احياناً، لكنه لن يخذلها. في تلك اللحظة كانت على وشك ان تحبه.

التفت اليها: «سأراك في الصباح، وعيد ميلاد سعيد لكم جميعاً».

لحقت به الى الباب الأمامي، فلوح لها بيده، عندما

خرج. الغيوم قد انقشعت والهواء كان لاذعاً الى صقيع خفيف.

«اذكريني في صلواتك» قال بنصف جدية عندما دخل الى سيارته. كانت دائماً ترافق والدتها الى خدمة منتصف الليل، اجراء حزن لأجله، معتبراً ان خدمة الصباح هي افضل، لكن السيدة زوان تحب ان تبدأ عيد ميلادها من الزاوية الدينية، بدون الالتهاء بالهدايا والعشاء، الذي سيجلبهم اليوم التالي.

شعرت رينيه بقليل من الألم لحاجة باري للتظاهر، لكن عندما التفتت الى القاعة، وجدت كريستين خلفها، تراقب مغادرتهما بعينين فضوليتين، وقدرت بأن باري قد رآها.

«كان يتوجب عليك ان تتركينا لوحدنا» اشتكت.

«كان لك وحدك طول الطريق من لندن» اشارت كريس: «مع معرفتنا لباري فأنا لا افترض انه قام بأية اقتراحات غير لائقة لانقاذ وتيرة القيادة. لقد كنت آمل ان يأخذك بين ذراعيه، لكنه سمكة باردة اذا كانت هناك واحدة».

«باري لن يتظاهر بعرض لتسليتك» قالت رينيه بصوت لاذع: «احياناً انت تكونين مستحيلة، يا كريس!».

لحقت شقيقتها عائدة الى المنزل، ولا تزال تشعر

بأنها نوعاً ما مخدوعة.

عندما افرغت حقيبتها عثرت على الثياب الضيقة الممزقة والموحلة التي دفعتا بسرعة الى داخلها في الغرفة المنعزلة للفندق. وقفت تحملهم في يدها، بينما لا ارادياً فكرت، «كان يجب ان يأخذني بين ذراعيه لو كانت هناك عشر، كريستين تراقب» وتحولت الى ساخنة لضخامة الفكرة. الغضب مع وعيها الباطني او اي جزء منها قد سرع مثل هذه الفكرة، وألقت بالثياب الضيقة الى سلة المهملات - كانت غير قابلة للتصليح - وتمنت لو تستطيع التصرف باستذكار الفرنسي كذلك.

لكن لا هو ولا باري يتطفلان على تعبدها، عندما ركعت في الكنيسة القاتمة الضوء - لأنه بالاحرى لدهشتها اختارت كريستين لكي ترافقهما. وعندما نزل القس عن المذبح ليضع لعبة صغيرة في مذودها الصغير، وهكذا موصلاً القرن العشرين مع تلك الليلة الاخرى من الولادة العجيبة منذ فترة طويلة. كل مشاكلها تلاشت الى حقارة قبل ان يغمرها شعور بسلام عميق.

خرج المصلون مصطفون مع تمتمة تحيات الى الليل الكثير النجوم الآن، والثلاثة استداروا باتجاه البيت. هناك عند مصب النهر كان وميض لضوء النجوم على الماء، واللمعان لضوء من زورق راسٍ هناك. كريس،

التي لا تستطيع ان تتحمل طويلاً مزاجاً راقياً، حطمت الصمت الساحر الذي خيم عليهن.

«انه المد العالي. انا اريد من ريك ان يخرج معي الى البحر على الجزر في زورقه، لكنه حدد موعداً مع صديقة للغطس على الطريق الى ابسويش».

«الحمد لله على ذلك!» قالت والدتها، التي تعرف جيداً النتائج الخطيرة لمغامرات كريس، بينما رينيه استعلمت من يكون ريك.

«صديقي الحالي» قالت كريس بخيلاء: «لكنه على وشك ان يقع في خندق. الكثير من الحياة هو حقيقي، والحياة هي تشوق حوله، لكنه سيتحول الى باري آخر محشو بقميص».

حانقة، اندفعت رينيه لتدافع عن باري، حتى تدخلت والدتها.

«ايتها الابنتان، ايتها الابنتان، هذا موسم السلام والنية الحسنة!».

دست كريس ذراعها في ذراع والدتها: «انا اعلم، يا عزيزتي، انا اعلم، لكن رينيه فتاة مدهشة، وانا اشعر بأنها ضائعة على باري».

«الامر يعود لها لكي تقرر» ألمحت السيدة زوان: «يبدو شاباً جديراً جداً بالاستحقاق».

«بووه، جدير بالاستحقاق! أية كلمة! انا كنت دائماً

آمل بأن رين ستلتقي في الواقع بشخص ما ساحر ورومنطيقي، الذي سيجرها من قدميها...».

«الرجل لم يولد الذي يستطيع ان يجرني من قدميّ» قاطعت رينيه بثقة، وثانية مع هزة، وذكرى الرجل الفرنسي تكررت لها، لكنها كبتتها بحزم، وتابعت: «ربما انا محظوظة، انا لن تكون لدي تصادمات على الشباب مثلما تفعل الفتيات الاخريات، وانها لحماقة حقيقية خلط الغرام مع العمل. بالطبع انا مغرمة بباري، لكنني لست مجنونة به، وأنا واثقة بأنني لا يمكن ان اكون مجنونة بأي رجل».

تنهدت والدتها: «انت مدركة، يا عزيزتي».

اطلقت كريستين صفرة طويلة: «لا تخدعي نفسك» قالت بسخرية: «انت فقط سريعة العطب كأية فتاة اخرى».

ابتسمت رينيه في الظلام وتركت الملاحظة تمر. كريس، بكل جهودها لتبدو مسلوقة جيداً، لا تزال طفلة رومنطيقية؛ لا تعرف اي شيء عن العالم الحقيقي والمنافع للأمان.

استيقظت رينيه باكراً في صبيحة عيد الميلاد؛ وأشعلت الضوء بجانب سريرها، ورأت انها لا تزال الساعة السادسة فقط واندست تحت الحرامات، عاكسة بفرح انها لا تحتاج للنهوض لعدة ساعات. صوت عال

ونفاذ اعطاها اشارة ايقظتها. مايك، الذي نام في الغرفة الصغيرة المتصلة مع غرفة النوم الرئيسية، كان يتفحص جواربه مع صرخات من الفرح. هي كانت على وشك ان تغفو ثانية عندما طرقة على بابها ايقظتها، ومايك دخل متعثراً، مع ذراعيه مليئتين بالكنوز.

«أنا جئت لكي تشاهدي ماذا لدي».

«هل بابا نويل احضر كل ذلك؟».

بدا مايك مرتاباً؛ لديه شكوكه حول وجود بابا نويل. التحقق من المدخنة اقترح انها كانت الطريقة العملية جداً للدخول لرجل محمل بكيس من اللعب، وكان مايك طفلاً عملياً جداً. قال بارتياب: «انا اعتقد هكذا، لكنني بالأحرى ان الماما وضعتهم هناك» عندئذ لفت انتباهه الى ما كان اهم بكثير، العرض لهداياه.

جلست رينيه، وسحبت قميص نومها فوق كتفيها. راقبت الوجه المنهمك، واستمعت الى اللسان المثرثر، حتى بدأ مايك يشعر بالنعاس بعد يقظته المبكرة غير العادية والمثيرة والتف بجانبها، السيارة الميكانيكية، ومجموعة النجوم، محمولة على صدره. سحبت الحرام فوقه، ووضعت ذراعاً حوله، وفي الحال غفا. تمددت رينيه ثانية على وسادتها، ونظرت الى الرأس البني على صدرها، وشعرت بوزن الجسم الصغير على جسمها، ومد من شعور دافيء انجرف فوقها. كان باري على

صواب؛ كان هذا هو الانجاز الحقيقي للمرأة. لماذا تتمسك بعرض الازياء عندما هو يكرهه كثيراً! اي مستقبل سيكون اذا ما قورن بالاطفال؟ التخلي عنه لن يكون تضحية عظيمة؛ ستتخلى عنه على الفور لكي تسعده ـ حسناً، ربما ليس على الفور، هي بحاجة لتعوض عن نفسها التكاليف الباهظة، لكنها ستخبره بأنها ستفتش عن عمل آخر. عندئذ بدأت تحلم بأطفالها، الرضع الاقوياء ذوي الشعر الاشقر، وبعينين زرقاوين مثل باري.

عند الساعة الثامنة، قرعت اجراس الكنيسة الرنين للخدمة الباكرة. فيما بعد، للساعة الحادية عشرة، هم سيتفرقون، حيث المدينة بكاملها ستكون مستيقظة.

ستجد وظيفة جديدة لنفسها، واحدة التي يستطيع باري ان يوافق عليها من كل قلبه.

جاء بعد الغداء ليأخذها مشوار. كلتا العائلتان ستتناولان عشاءهما للميلاد، وقال انه بحاجة الى شهية لهذه الوليمة. هما ذهبا متجاوزين الحواجز المائية بزوارقها المغطاة، والى اسفل الجدول، على طول الجدار البحري بين اعشاب المستنقعات المزروعة بحذر. عرفت رينيه ماذا تتوقع، فارتدت حذاء ثقيلاً، وسروالاً ومعطفاً قديماً؛ ومنديل على رأسها لحماية تصفيف شعرها. باري، متعثراً على طول الطريق الوعر

امامها، حيث كان من المستحيل ان يسير الاثنان جنبا الى جنب، بدا في احسن حالاته في الجيرسيه البحري. حيث كان الطريق يتقطع، كما كان في اماكن، استدار لكي يمد لها يداً.

«أنا اريد الذهاب الى باريس فقط مرة واحدة» اخبرته: «آفا برينت، محررة الازياء لمجلة لايف، استخدمتني عدة مرات. انا اعلم انها تخطط سلسلة في الربيع مع خبرات أجنبية؛ انها ستكون ذات صلة ببنود اخرى على منتجعات القارة، وأنا ارجو انها ستأخذني لعرض ازياء والتقاط صور. عندما ينتهي ذلك، أنا سآخذ وظيفة اخرى، اذا كان ذلك ما تريده حقاً».

«يمكنك الذهاب الى باريس في اي وقت».

«أنا لا اريد ان اذهب وحيدة وهذا لا يروق لك».

«انه لا يروق لي، لكنني اتوقع انها نفس الشيء كأية مدينة اخرى».

«ليس بالنسبة لي. ان اعرض ثياباً باريسية في باريس هي فكرتي من السماء».

«احياناً، يا عزيزتي رينيه، انت تتكلمين عبثاً» اشتكى.

«اوه حسناً، انه شيء لا اتوقعك ان تفهمه» داعبت الجيرسيه بخشونة: «انت لست واعياً للموضة».

«انا يجب ان لا آمل!» كان مصدوماً للفكرة بحد

ذاتها.

«مع ذلك كل المصممين الافضل للثياب هم من الرجال» ألمحت رينيه.

«اذا كان بإمكانك ان تسمي مثل هؤلاء المخلوقات رجالاً. انا لا استطيع ان افهم ان اي رجل حقيقي يتولى مثل هذه المهنة. هم يجب ان يكونوا متدهورين خلقياً!».

ضحكت ووضعت خدها على كمه.

«يا عزيزي باري، الحياة هي هكذا بسيطة بالنسبة اليك، انت فقط توزع كل شخص حسب قواعدك. ارجو ان لا تعتقد انني متهورة خلقياً ايضاً؟».

«حسناً، انا لا احب اي نوع من العرض» اعلن، ثم لان: «لكنني سأعترف بأن لديك الكثير لكي تظهريه» وضع ذراعه حولها: «الحقيقة هي، انا غيور، يا رين، وأنا لا أحب بأن يحدق الآخرون الى ما هو لي».

مثل هذا التصريح كان نادراً من باري.

«أنا عنيت عندما قلت بأنني سأتخلى عنه» قالت، قلقة لكي تسعده؛ «لكنه سيكون علي ان استبقي نفسي لكل ما صرفته على خزانة الثياب وتصفيف الشعر. عدة مهمات اجنبية سرعان ما تقوم بذلك؛ هم يدفعون جيداً».

«هل سيدفعون؟» كان مبتسماً: «بالحكم على عدد

الازياء التي شاهدتك فيها انا سآخذك لبقية حياتك لتصبحي متوازنة!».

«اوه، لا، ذلك لن يحدث. يا باري، انني متشوقة».

«هل انت، يا عزيزتي. انا سعيد جداً لأسمع ذلك» اخبرها، لكنه في سره كان يشك بأنها ستلتزم بقرارها: «على اي حال، نحن اتفقنا بأن تتركي عندما نتزوج، اليس كذلك؟».

تنهدت. زواجهما بدا بعيداً، وفي مزاجها اللين، سترحب بالطموح بموعد اقرب.

«انه سيكون طويلاً قبل ذلك» وعدته.

ارتفع طائر الحزين من المستنقعات على الجانب باتجاه الارض، مع حفيف لجناحيه الكبيرين، وأقلع فوق رأسيهما متفوهاً بنعيبه المضطرب. ارتجفت رينيه. كانت السحب قادمة في تشكيل متكتل، والمنظر بدا بارداً ومقفراً؛ وصراخ الطائر بدا ليسخر منها.

سحب باري ذراعه ونظر الى ساعة معصمه.

«من الافضل ان نعود» قال: «انه سرعان ما يخيم الظلام».

تقدمته في صمت على طول الجدار البحري، مدركة لاحساس لا يمكن تفسيره من الانذار بالشر.

الفصل الثاني

باريس

«يا عزيزتي، حاولي ان تنظري اكثر قليلاً معه» توسل بيل سيمونز من خلف كاميراته: «انا اعلم بأن هناك نسيماً بارداً يهب، لكن يتوجب عليك ان تظهري كأنك تستدفئين في عز الصيف».

حاولت رينيه السيطرة على ارتجافها ومارست ابتسامتها المهنية. لغاية الآن الزيارة الى باريس لم تتجسم. بدلاً منها، اخذتها آفا برينت الى بريتاني لتصوير ملابس الشاطيء في باريس هذه بجانب البحر،

المنتجع الشعبي لابول، الذي تأملنا بتفاؤل انه قد يكون اقل برودة من لو توكيه على الساحل الشمالي، وكان اقل شهرة من الريفييرا.

المنفعة الكبيرة لمنتجع لابول كان خليجه، الاميال الخمسة من الرمال غير المتقطعة، تنجرف من الساحل، بين بورنيشيه ولو بولجين. منذ اقل من مائة سنة لم يكن هناك شيئاً عدا الكثبان واشجار تنوب تحف الرمال، ثم بين عشية وضحاها اكتشف المكان، واكثر، المهنة الطبية اعلنته صحياً. عندئذ بدأ البناء، وبين الحربين ازدهرت لابول بشعبيتها. كان كل شيء جديداً وبراقاً، عند ساحلها الشرقي، لابول لوبان، شاليهات وفيللات في كل ظل للجدران المدهونة بالجير قفزت بين اشجار الصنوبر، بينما الفنادق، والمطاعم والكازينو تبطن واجهتها المائية. بمواجهة الجنوب، الذراعان الطويلان للخليج تحميانها من امواج الاطلسي، والمكان له شهرة الامتلاك لمناخ مشمس ولطيف حتى في اوائل السنة، لكن مع انه السماء كانت زرقاء لامعة، فقد كانت ريح باردة تهب.

كانت الحملة واحدة متحدة؛ بالاضافة الى صفحات الازياء، كانت مجلة لايف تظهر مقالة عن جنوب بريتاني، وعندما قامت رينيه بمهمتها المحددة، كان فريق التصوير يذهب الى زيارة لاغران بيير، تلك

الارض المستنقعية الغربية الى الشمال، حيث يمكن مشاهدة اكواخ فريدة من نوعها مدهونة بالجير مسقوفة بالقصب والقش، التي كان اتصالها الوحيد مع العالم لمعظم السنة كان بواسطة الزورق المسطح. عندما انتهى ذلك، كل المعدات ستعاد الى انكلترا.

لو بولجين، عند الطرف الغربي من الخليج، كانت تنفصل عن لابول بواسطة قناة بحرية ضيقة، التي كانت مشاركة بواسطة صائدي الاسماك بالشباك ويخوت المتعة. كانت رينيه قد وقفت على هذه الخلفية تعرض ملابس اليخوت. الآن هم غادروا ميناء الصيد، حيث ينتهي الشاطيء، وجاؤوا الى الساحل الصخري خلفه، الذي اعتبرته آفا بأنه سيكون ترصيعاً اكثر دراماتيكية لملابس الشاطيء.

خلف رينيه كانت كتلة من الصخور الحمراء، تتلوى في اشكال غريبة بواسطة عواصف الشتاء، وعند قدميها رمل ابيض ثابت، يتكون من غبار مئات الآلاف من اصداف لولبية صغيرة جداً؛ الآلاف منها، ما تزال متصلة، مبعثرة على الشاطيء. هم بدأوا العمل في الصباح الباكر لتجنب النظارة، والضوء للشمس المشرقة حديثاً كان كاملاً لتصوير سيمونز، لكن مع انها تأملت في ان تجد مأوى بين الصخور، كان الجو لا يزال لاذعاً لعارضة الازياء.

«انا اعلم انك قد تجمدت» قالت آفا بحدة: «نحن سنسرع قدر الامكان. اسرع، يا بيل، وأوقف الثرثرة».

اخذ بيل سيمونز لقطتين، ورينيه انزوت الى خيمة مخططة منصوبة لتغيير ثيابها؛ كانت ترتدي زياً للشمس. وعرفت ان الاسوأ سيأتي مع ثياب البحر.

«وحشية حقيقية للحيوانات» قالت للمساعدة، التي انتظرتها مع كوب من القهوة من الترموس.

كارين نيوباي، سكرتيرة آفا والتي تقوم بالمهمات العامة الخفيفة، كشرت بتعاطف: «الجانب غير الساحر لعرض الازياء» قالت: «لن تكون له أية فائدة بتصوير احدث ملابس السباحة عندما يكون الناس في اجازة وقد اشتروا تجهيزاتهم، والشمس دافئة تماماً هذا الصباح».

وقفت على ذروة صخرة، قوام اسمر نحيل- غير طبيعي، فآذار كان باكراً جداً لسمرة الشمس- مع شعرها العسلي الباهت، الذي كان كله طبيعياً يطفو في كثير من النسيم المزعج؛ عيناها المظللتان كانتا ثابتتين على البحر، وفمها الجميل التوى بتجهم، عندما شعرت نفسها ترتجف من البرد.

«اسرع» حثت آفا: «الوقفة كاملة وانا معجبة بتلك النظرة الشديدة الحرارة، لكنني لا اريد للفتاة المسكينة بأن تصاب بالتهاب رئوي!».

سباح وحيد كان قادماً عبر الخليج من لابول، وبدا غير متكدر من برودة الماء. راقبته رينيه بدون مبالاة تقدمه برأسه الاسود عندما اقترب.

اخذ بيل لقطاته عندما صعد السباح الى شاطئهم. وقف يحدق الى رينيه، حتى اشار بيل بأنه قد اكتفى، ومع تنهيدة شكر هرعت عائدة الى خيمتها.

«هذا كل شيء» قالت كارين، مستشيرة لائحتها.

«الحمد لله على ذلك!».

«ما لم السيدة برينت تريد بعض الاستعادة».

«اذا كانت تريد، فسوف اعلن الاضراب» قالت رينيه، مسرعة في ارتداء ثيابها.

عندما خرجت من خيمتها وجدت الغريب من البحر يتحدث الى السيدة برينت. شخص ما القى حوله منشفة سباحة. تحققت رينيه، محدقة اليه على غير هدى. كان الشاب الذي قدم لها الشاي في لندن.

«اوه لا» فكرت، «من بين كل المصادفات السيئة الطالع! الشخص الاخير الذي اردت رؤيته ثانية!».

حديث حيوي كان يجري بين آفا والغريب في خليط من الفرنسية والانكليزية، الذي كانت بقية الفريق تحاول الاستماع اليه. تعجبت رينيه اذا كانا سينتهيان. لديها فقط أمنية واحدة- رغبة غامرة للعودة الى فندقهم والانتقاع في حمام ساخن لاخراج البرودة من اطرافها.

أومأت آفا اليها.

«هذا هو مسيو ليون سبستيان».

انحنى ليون اليها، وعيناه السوداوان التقتا عينيها مع غمزة خبيثة.

«اذن، يا مدموازيل، انا كنت على صواب. نحن التقينا ثانية».

بدت آفا مندهشة: «هل تعرفان بعضكما؟».

«لا، يا مدام» كان ليون دمث الاخلاق؛ لم يكن يبدو انه يشعر بالبرودة في القليل: «مقابلتنا القصيرة كانت بهويتين مخبأتين. انا لم احلم بأن المدموازيل كانت عارضة ازياء. قالت شيئاً ما عن النباتات».

«أنا بالتأكيد لم اتخيل انك كنت خياطاً للسيدات» اجابت رينيه، لأنها تذكرت من كان ليون سبستيان. بعض البيوتات الباريسية الشهيرة كانت تقدم عروضاً من مجموعاتها لكانون الثاني في فندق هيرميتاج، تلك الكومة الكبيرة من العمل القرميدي والزجاج، التي استطاعت ان تراها بوضوح خلف الخليج في نور الصباح الصافي. كان سبستيان بينهم، وتلك السنة ليون، مصمم الازياء الشاب في التجارة، قد ابتكر ثورة مع اصولية التصاميم. لكن اي شخص اقل مثل مصمم ازياء باريسي كان من الصعب ان يتخيل واكتشفت بعد ان ذلك الفرنسي لديه اية رغبة للمياه الباردة. من

. الواضح ان ليون كان فريداً من نوعه في مزيد من الطرق اكثر من واحدة.

«مسيو سبستيان لديه عرض ليقدمه لك، يا رينيه» بدأت آفا.

عيناه اعجبتا بها علناً: «انا في مشكلة كبيرة، واحدة من عارضاتي، انا احضر اثنتين، اصيبت بالتهاب الزائدة الدودية وهرعت الى المستشفى. انا فكرت ربما انك...؟».

هزت رأسها: «مستحيل، يا مسيو».

تحركت آفا: «لماذا، يا رينيه؟» سألت. كانت تقوم بتفكير سريع. بعد الحملة الى لاغران بيير، الفريق سيغادر، ويتوجب عليها ان لا تترك رينيه خلفها بدون سيدة مرافقة، لكن اذا مسيو سبستيان سيدعها تأخذ بعض الصور لنماذجه الحصرية لتوزيع مستقبلي، فالأمر قد يكون جديراً بوقتها للبقاء ليلة اخرى؛ هي حتى قد تصور العرض الكامل، اذا استطاعت أخذ آلات تصويرها الى هيرميتاج، الذي كان لغاية الآن منطقة محرمة.

«لكننا سنغادر بعد ظهر هذا اليوم» فكرت رينيه بباري، الذي كان يتوقعها تلك الليلة، والذي وعدته بترك عرض الازياء في المستقبل القريب. سيهلع لفكرة عملها لمسيو سبستيان.

التفتت آفا الى الرجل الفرنسي.

«المدموازيل تشعر ببرد شديد» قالت بإشراق: «ربما نستطيع اللقاء لاحقاً لمناقشة المسألة عندما تستدفيء» أطلقت نظرة سوداء الى رينيه.

كان ليون مشوشاً بالاعتذارات لحاجته للاعتبار. «مؤدب مزيف»، فكرت رينيه، مصممة على ان تكرهه. شرح بأن الامر عاجل. لقد كان هناك عرض بعد الظهر ومدموازيل، اذا كان عليها ان تكون طيبة كفاية لكي توافق، فإنه يتوجب عليها تجربة الفساتين. سيتصل هاتفياً لعارضة اخرى لتحل مكان جولي السيئة الطالع التي اصيبت بالتهاب الزائدة الدودية، لكنه لم يعرف اذا كانت الفساتين ستناسبها، والآن مدموازيل رينيه لديها مقاييس جولي بالضبط ـ مرر عيناً خبيرة فوقها ورينيه ارادت ان تصفعه. على اي حال الفتاة الجديدة قد تصل متأخرة جداً عن عرض بعد الظهر. رتبت آفا بأنه يتوجب عليه القدوم الى فندقهم لمدة ساعتين.

في نفس الوقت المساعدات حزمن الثياب والممتلكات الشخصية والطريق تكوم في سيارتين منتظرتين لتعيداهم الى لابول. استطاعت رينيه الدخول الى واحدة التي لا تضم آفا. لسبب ما ارادتها المحررة ان تقبل هذه الوظيفة، وهي لا تريد تأخير عودتها وتخييب امل باري ـ او هكذا هي قالت لنفسها ـ لم

تستطع تفسير سببها الحقيقي، والتحذير الفطري لتجنب ليون سبستيان.

المعدات لمجلة لايف كانت باقية في فندق صغير في شارع كونكورد، الذي يسير الى الخلف من البحر الى الطريق الرئيسي خلف المدينة. هذا الفندق، الصنوبرات الثلاث، لديه ردهة مركزية كبيرة بأبواب على جانب الشارع التي تطوى في الصيف لتترك الجانب كله مكشوفاً للشمس والهواء، والصنوبرات المقابلة التي اعطته اسمه.

أخذت رينيه حمامها، وببطء شعرت بالدفء. نزلت الى الردهة، تشعر بمزيد من الحيوية، ترتدي زياً بحرياً مطرزاً بالابيض، وقد مشطت شعرها الى نوع ما من الترتيب. الآن مسحت السمرة المزيفة، وظهرت بشرتها بيضاء كالكريم.

ارتدت آفا برينت زياً اسود مع ربطة عنق حريرية بيضاء لانقاذ كآبته، وقبعة سوداء أنيقة. كانت امرأة محافظة جداً بسنوات النضوج مع وجه وشعر مصبوغين بشكل جميل، اللذين لم يعطياها تضليلاً بالشباب. العينان الزرقاوان القاسيتان كانتا معروفتين جداً لتكونا موضوعتين في وجه شاب.

«لماذا» ارادت رينيه ان تعرف: «هم يحملون عرض الازياء هنا للموسم؟ يبدو ذلك سخيفاً لي».

«لأنهم يعقدون مؤتمراً دولياً في الهيرميتاج هذا الاسبوع» اعلمتها آفا: «من المحتمل انهم اختاروا المكان بسبب هوائه الصحي. زوجات المندوبين معهم، وعرض الازياء سيكون فقط عند تناولهن الشاي. ذلك بالطبع لا علاقة له بنا، ونحن يجب ان نأخذ في الاعتبار هذه الاستراحة التي قدمت لك؛ هكذا محظوظة هذه العارضة التي اخذت مريضة... يا الهي، الفتاة» انفجرت بغضب، ملاحظة التعبير الصامت لرينيه: «لا تدرك اية فرصة قدمت لك على طبق؟ لكي تعرض لصالون سبستيان ـ معظم الفتيات يعطين ناب فكهن العلوي لمثل هذه الفرصة!».

«انا ليست لدي خبرة كافية» تمتمت رينيه.

«انت لديك ما هي تأخذ» اخبرتها آفا بجفاء: «انها النوعية التي لا علاقة لها بالخبرة».

كانت رينيه مندهشة؛ انها ليست عادة آفا برينت ان تقدم الاطراء. عالمة بالمحررة جيداً، تعجبت ماذا توقعت آفا ان تجني من العرض.

«أضيفي الى ذلك، ليون سبستيان شاب ساحر جداً» قالت آفا بتلميح.

«العارض» تشدقت: «اذا اراد الاتصال بنا لماذا لم يقم بذلك بطريقة مستقيمة؟».

«ربما اراد ان يراك قيد العمل قبل ان يعرض

الارتباط معك» قالت آفا بجفاء.

«أنا لا استطيع البقاء هنا فترة اطول» قالت بحزم: «ارتباطي معك ينتهي اليوم. انا... لدي ارتباطات اخرى».

التي لم تكن في الواقع صحيحة، لكن آفا لا تعرف ذلك.

«اذن يتوجب عليك الغاءها» كانت المحررة قد فقدت الصبر معها: «بالله عليك ايتها الطفلة، هل انت حمقاء كاملة؟».

عند هذه اللحظة دخل ليون سبستيان الردهة وأخذ طريقه الى زاويتهما. ارتدى كنزة بيضاء جميلة، مع شريط احمر وأسود نزولاً على جانب واحد، فوق بنطلون رمادي فضي؛ كان بدون قبعة، وشعره لمع كالحرير؛ تنقل برشاقة قط كبير.

حيته آفا بتدفق، فهي لديها لعبتها الخاصة لكي تلعبها. ظهرت نادلة بسرعة غير معتادة، مبتلية بوضوح بالقادم الجديد. نعم، سيتناول القهوة، فهل ستنضمان اليه؟ قالت آفا انهما ستفعلان.

كان عرضه بسيطاً. اراد رينيه ان تقوم بظهورين، واحد بعد الظهر والآخر بعد العشاء، لاعطاء خليفة جولي المزيد من الوقت «الترتيب نفسها» ـ لوح بيدين سمراوين ضيقتين بتعبير. ستعرض نصف دستة من

الفساتين؛ شقة «دي لوكس» سوف تحجر لها في هيرميتاج لترتاح فيها، وربما لقضاء الليل، اذا قررت ان الوقت متأخراً جداً للسفر. سيدفع كل المصاريف وعلاوة كبيرة للمدموازيل لتكرمها بمساعدته.

عندما تحدث، كانت واعية لعينيه تقيمانها، مع الكثير من نفس التعبير الذي ارتداه عندما تناول الشاي معها في لندن. هل ما زال يحاول اقتفاء آثار شبه؟.

«أنا ليس لدي عقد للعمل في فرنسا» أشارت، متمسكة بأي عذر.

لم تستطع ان تفهم تماماً كرهها لتتعهد هذه الوظيفة؛ لكي ترتدي ثياباً جميلة في فندق فخم كان النوع من الشيء الذي حلمت به دائماً لكن فطرتها ما زالت تحذرها لكي تحترس من هذا الرجل.

أصر على ان كل شيء يمكن ترتيبه، وسيشرف على ذلك بنفسه. عندئذ اظهرت آفا يدها، فرينيه لا يمكن ان تترك في لابول بدون مرافقة، لكنها تستطيع ترتيب البقاء ليلة اخرى، اذا... وهي صرحت بشروطها. نظر ليون اليها بارتياب. لقد كانت صعبة، لأنهم كانوا يعرضون موديلات جديدة، لم تطلق بعد الى الصحافة. وعدت آفا بأنها لن تستخدم صورها لعدة اسابيع، عندما يصبح عرض أزياء لابول شيئاً من الماضي. الاثنان تشارعا وتجادلا لبعض الوقت بعد وصول القهوة. في الواقع،

كل التفاصيل سويت، وهم جلسوا ليستمتعوا بالقهوة. اخرج ليون سجائر تركية.

«لا، شكراً، انا لا ادخن» اخبرته رينيه.

«جميل جداً، مدموازيل ثورنتون» عيناه التقتا عينيها عندما اشعل سيجارته. هما كانتا سوداوتين ومخمليتين، محاطتان برموش طويلة وكثيفة مثل عينيها. قلبها تسارعت دقاته، وهي نظرت بعيداً.

«انت تأخذ الكثير كأمر مفروغ منه» قالت لاهثة: «كان يجب على السيدة برينت بأنني فقط عارضة لمصور، وأنا ليست لدي خبرة في عرض موديلات الفساتين».

أطلقت آفا تعجباً غاضباً، لكن ليون لم يكن منزعجاً.

«أنت ستقومين به بصورة جيدة» قال بثقة؛ عندئذ قفز واقفاً على قدميه: «آه حسناً، دعونا نثبت ذلك».

غير راغبة لحقت آفا الى الخارج الى حيث وقفت سيارة كاديلاك سوداء. بصمت دخلت الى المقعد الخلفي، بينما فتح لها الباب؛ آفا تسللت الى المقعد الامامي، وبينما سافروا المسافة القصيرة الى فندق هيرميتاج، عكست انها قد أكرهت الى الوظيفة حتى بدون اعطاء موافقتها.

ألقت نظرة خاطفة على القاعة المشعة، والأثاث

الفخم، وكتل الازهار الباهظة الثمن، قبل ان تدخل الى قاعة الرقص بثرياتها المتلألئة؛ خائفة، عبرت اتساعها، الى غرفة اصغر تؤدي خارجها، حيث امرأة صغيرة، ترتدي السواد بأناقة، جاءت لتحييهم، وليون ذهب الى رف طويل يحمل فساتين مغلفة.

قالت المرأة شيئاً ما بالفرنسية؛ كانت تسأل اذا كان مسيو قد وجد عارضة أخرى. بتلويحة من يده اشار ليون الى رينيه.

«يا مدموازيل رينيه ثورنتون ـ هذه هي مساعدتي، مدام لامارتين. من فضلك ساعديها في الديباج الذهبي» عندئذ هو تركهما، وبنعومة خضعت رينيه الى تعليمات المرأة الفرنسية.

كان الثوب فستان سهرة، عالي الخصر، مفصل على خطوط امبراطورية تقريباً، والكتفان عاريان تماماً ما عدا حزام واحد من الذهب معدني. لقد كان من الديباج الكهرماني الفاتح، مع طوق ضيق من الذهب حول خط الخصر. لقد كان بسيطاً تماماً، لكن الخطوط تظهر يد الحرفي، والسيد. المرأة رفعت شعرها فوق رأسها، وعقدته مع ضفيرة ذهبية، ثم تراجعت لكي تتأملها، وسحبت نفساً سريعاً.

«يا مدموازيل انت جميلة!».

التفتت رينيه الى زجاج طويل. لقد بدا الثوب كأنه

صنع لها؛ لقد سقط في طيات براقة فاتحة الى قدميها وكان أفتح قليلاً من لون شعرها، الذي، مكوماً الى أعلى، جعل وجهها غير مألوف؛ وكهرمان الفستان أعطى ظلالاً الى بشرتها الكريم، فقط حاجباها ورموشها السوداء كانت في تناقض خلاب. لم ترتدي أي شيء يمكن ان يجعلها افضل. اشارت اليها مدام لامارتين كي تحني رأسها وشبكت السلسلة الرفيعة من الياقوت الاصفر لتتدلى حول عنقها، وعندئذ هي ألقت وشاحاً ناعماً فضفاضاً فوق كتفيها. أخيراً ناولتها قفازين كهرمانيين اللذين وصلا الى فوق كوعيها، ومروحة كبيرة من الريش في يشم أخضر.

«الى هنا، انت جاهزة؟».

أطرقت رينيه برأسها. شعرت انها ليست نفسها، خارج هذا العالم تماماً. خرجت الى قاعة الرقص كأنها في حلم.

كانت هناك مجموعة من الناس تنتظر ظهورها عند الطرف الآخر من الغرفة الضخمة، لكنها شاهدت ليون فقط. عبر اتساع أرض الغرفة، عيناه التقتا بعينيها بحماس صاعق في أعماقهما السوداء لدرجة أنها تحركت باتجاهه كأنها مسحوبة بواسطة مغناطيس. استدارت بعيداً، ونظرت الى الوراء من فوق كتفيها، والمروحة مرفوعة الى شفتيها، في وضع مثير ومغري.

عندئذ أغلقت المروحة، واستدارت لكي تواجهه. ما حدث كان مسرحياً وغير متوقع. تقدم ليون بسرعة وركع على ركبة واحدة، ورفع رؤوس أصابعها ذات القفاز الى شفتيه. المجموعة الصغيرة من النظارة هللت بالتصفيق. في الحال تحطم السحر ورينيه سحبت يدها بسرعة، متوردة بغضب. «مشعوذ»، فكرت، وعندئذ، بأمانة، «الكنني كنت بنفس السوء. بحق السماء ماذا دعاني لأتصرف هكذا؟» قفز ليون الى قدميه وتراجع بخجل نوعاً ما. لقد خطر ببالها عندئذ ان عمله كان عملاً أصيلاً تلقائياً من فروض الطاعة، وهي أساءت الحكم عليه. كان نادماً.

بالاحرى لتسليتها فقد كانت آفا هي التي تلقت كل التهاني، كأنها أخرجت رينيه من قبعة، كما يصنع الساحر أرنباً أبيض. قبل أن تعرف ما حدث تماماً، كانت مرتبطة بظهورين، وآفا أخذت طريقها حول الصور. كي يكفر عن هذه اللحظة من الضلال، أصبح ليون رسمياً للغاية، فظاً تقريباً، ومتجنباً بحذر لقاء عينيها. كان عليها أن تجرب الفستان الآخر، ثوب قصير من الخرز الاسود المتلألىء، الابتكار الشفاف الآخر من الاخضر الفاتح. عندئذ كان هناك طقمان ببنطلون، واحد شرقي التصميم، مع سترة ضيقة بطول الركبة فوق بنطلون عريض، والآخر في مخمل أسود مع

جاكيت مشابهة لجاكيت الرجل. لحسن الحظ كانت مقاييس جولي بنفس مقاييسها.

حاولت مدام لامارتين الصغيرة ان تشرح لها أين ومتى تظهر على البرنامج، لكن بما أنها لا تعرف الانكليزية، وفرنسية رينيه كانت من نوع التلميذة، فقد وجدت صعوبة في إفهام نفسها. فكرت رينيه بأنه ستكون هناك عدة مساعدات ليساعدنها في تغيير ثيابها، وكان عليها أيضاً أن تحاول أن تتذكر الاكسسوارات التي تتماشى مع كل زي. رتبت لها آفا أشياء لترسل الى فندق الصنوبرات الثلاث، وبعد الغداء، الذي تستطيع أن تأكل منه فقط القليل، ذهبت لتأخذ ساعة استراحة بعد امتحانها.

جلست عند النافذة للشقة الفخمة المطلة على البحر، ووجدت انه يستحيل عليها الاسترخاء. الشمس لا تزال مشرقة، والبحر يمتد كحرير أزرق مع حواف شريط على طول الرمال الذهبية التي جعلت المكان شعبياً. عدد من الزوارق الشراعية دخل الخليج الى لو بولجين؛ هل كانت حقاً فقط عدة ساعات منذ وقفت هي على الشاطىء ترتجف وليون قد جاء سابحاً عبر المياه؟ كانت مصممة على أن تكرهه من تلك اللحظة. لا تنوي ان ترتكب الغلطة التي ارتكبتها والدتها، وأن تكون منقادة بعيداً بالنظرات الجيدة والسحر السهل.

ليون لديه الكثير من الصفة الثانية؛ وهو يفتحها ويقفلها كالحنفية. تذكرت بتهكم ذاتي تلك اللحظة في قاعة الرقص عندما استسلمت لاغرائه. يجب ان لا يكون هناك المزيد من ذلك؛ طالما هذا العرض المحنون يدوم، ستعامله بخيلاء واحتقار.

كانت جلسة بعد الظهر بالنسبة الى رينيه مربكة تماماً. كما أنها أخبرت ليون، بأنها لم تكن مانيكان؛ كل خبرتها المحدودة كانت محصورة بالوقوف أمام الكاميرا، التي هي مختلفة جداً عن العرض الحي المتوقع لها الآن. عارضة ليون الاخرى، سيليستي، فتاة سمراء نحيلة، التي تتحدث فقط بالفرنسية، اعطتها نظرة واحدة، وهزت كتفيها، وتمتمت، «انكليزية» وتقدمت لتكون حقودة قدر ما تستطيع، حتى الى حد الاستيلاء على الاكسسوارات المصممة لاستعمال رينيه لأزيائها الخاصة، التي كانت غير ضرورية تماماً، كما كان موضوعاً لها. كانت هناك أربع فتيات أخريات، اثنتان تعودان الى كل واحدة من الدارين الأخريين اللتين كانتا تعرضان، واللتين واحدة منهما أرسلت رئيسة مبيعاتها، امرأة عادية رفيعة. لكن بالشياكة التي لا تقلد للباريسية الحقيقية، والتي تجاهلت رينيه، والأخرى، رئيس تصميمها، قصير بدين وأصلع، الذي لم يتجاهلها. حالما رأته رينيه يتحدث الى ليون مع عينيه عليها،

ويتعجب كأنه يسأله من أين التقط هذه المخلوقة. في الواقع كان يتحدث عنها، لكنه تسرع بالاعجاب، وليس بالسخرية.

اخيراً انتهى كل شيء وحان الوقت لتجمع نفسها قبل العرض المسائي، الذي سيقع بعد العشاء. من كل قلبها لعنت آفا على اصرارها على هذا الظهور الثاني. لو أن عارضة أخرى أرسلت على عجل من باريس، لكانت الآن حرة للعودة الى منزلها ومقابلة باري كما كان مرتباً. وكما كان، أبرقت بأنها سوف تتأخر، وعرفت أنه سيكون غاضباً.

لم تترك في سلام طويلاً؛ مدام لامارتين طرقت على بابها وأخبرتها كي تأتي وترتدي الديباج الذهبي ـ لقد استغرقها وقت قليل لكي تستجمع ما كان مطلوباً. مرة أخرى ارتدت، وتنقلت الى جناح السيد مورتون، الزوجة الاميركية لأحد النواب. كانت السيدة مورتون قد أخذت بالثوب، وكان يؤكد لها بأنه يمكن نسخه على مقاييسها. كان لها شعر نحاسي وعينان مطليتان بالماسكارا بكثافة. لا شك انها تخيلت بأنها ستبدو مثل عارضة أزياء، لكن بما انها كانت اكبر من رينيه بخمس عشرة سنة وتزن اكثر منها بحوالي عشرة كيلوغرامات، فكرت رينيه ان ذلك كان غير محتمل للغاية، لكنها عرفت ان الثوب المذكور كان يساوي عدة مئات من

الجنيهات ورأت وجهة النظر لاطراء ليون. اخيراً تم تحديد موعد للقياس في باريس، ورينيه خرجت.

سار العرض المسائي بمزيد من النعومة، ومكان ما محجوب بذكاء بأشجار النخيل، وعرفت ان بيل وآلات تصويره كانت قيد العمل. آفا تموء كقطة مليئة بالكريم، جلست بين الضيوف. ليون، مرتدياً جاكيت عشاء تقليدي، بدا وسيماً للغاية، ومع انها بثبات منعت عينيها من الشرود ناحيته، عرفت انه كان يراقب كل حركة لها. انتهى العرض باستعراض لكل الفتيات الستة بدورة من التصفيق الحاد وانتهى كل شيء، والضيوف تفرقوا لينشدوا ما تقدمه الحياة الليلية للمدينة.

راقبتهم رينيه يخرجون بقليل من البهجة؛ كان الوقت لا يزال باكراً وهي لم تتخيل العزلة لغرفتها، لكنها ليس لديها ثوب سهرة معها وآفا لم تقترح الخروج. بيل، بدا ضائعاً في سرواله والبلوفر، فكشر نحوها بكآبة.

«لو انني عرفت اننا سنكون في هذا لنعمله، لأحضرت ألاعيبي السارة وجربت الكازينو، لكنهم لن يدخلونني هكذا... أنا سأجد مقهى حيث لا يكونون هكذا مزخرفين. المرء يستطيع دائماً ان يغرق الضجر بالشراب».

حيث ان مرحاً بتعاطي المسكرات لم يكن فكرتها لأمسية جيدة، لم تطلب منه ان يأخذها معه، وذهبت

يائسة الى غرفتها.

جاءت طرقة على الباب، وفتحته، فوجدت ليون على العتبة. عند المشهد غير المتوقع لأناقته النحيلة، قفز قلبها وبدأ يخفق في سرعة مزعجة.

«أنا فكرت أنك ربما ترغبين في المجيء الى الكازينو» اقترح.

حدقت اليه على غير هدى: «مع... معك؟».

«لماذا لا؟».

لقد كان هناك مائة سبب لماذا لا؛ كبداية هي لا تريد ان تصبح متورطة معه بأية طريقة، وقررت ان تعامله بخيلاء واحتقار، وهي كانت فتاة باري، ولا يمكن التغلب عليه، وليس لديها فستان للسهرة. ذكرت الصعوبة الاخيرة. فرقع اصابعه.

«فستان؟ المكان غارق بالفساتين، وعندما تخرجين مع ليون سبستيان، انت ترتدين موديلاته».

هذا وضع الخروج على قاعدة مختلفة تماماً؛ أصبحت هادئة وباردة.

«أنا فهمت... انت تريدني ان اعمل كإعلان سيار في الكازينو؟».

«بالضبط، يا مدموازيل ثورنتون، اعلان لي، وفي نفس الوقت، تسلية طفيفة لك» نظر خلسة الى الغرفة خلفها: «انه لن يكون مفرحاً جداً هنا لوحدك، اليس

كذلك؟».

كأنه يؤكد كلماته، موسيقى من اوركسترا جاءت طافية فوق السلم، خلفها كان فراغ، وفي الخارج، الاضواء الساطعة تومىء لها. بعد يوم التجربة، بكل تأكيد تستحق بعض المرح؟ لكنها لا تزال مترددة.

«أنا يجب أن أخبر السيدة برينت».

«آه، هي مسؤولة عنك؟ لكن تلك المرأة خرجت».

شعرت رينيه بوخزة من الغضب؛ آفا خرجت بدون ان تخبرها، تاركة اياها لأمسية موحشة. ذلك جعلها تقرر.

«أنا أحب المجيء» قالت ببساطة.

كأنها على موعد، ظهرت مدام لامارتين في الرواق، حاملة مغلفين، يكشفان عن ثوب ومعطف. اشتبهت رينيه بأن ليون خطط لهذه الجولة وكان واثقاً من قبولها، لكنها لا تريد ان تتخاصم معه حول ذلك.

الثوب لم يكن واحداً من التي عرضتها، لقد كان ثوباً بسيطاً من الحرير الابيض، لكن طرازه أنيق. كان المعطف من فراء المينك. ارتدته مع شعور طفيف من الخوف؛ عرفت تكلفة مثل هذا المعطف.

رغم انه كانت هناك فقط عدة ياردات للكازينو، فسيارة ليون كانت منتظرة؛ شعرت كأميرة عندما أدخلها. مع انها ترتاب منه، فهي كانت فقط من البشر،

زمجرات الحسد التي ألقيت عليها من عيون الاناث الاخريات وعلى مرافقها كانت جديرة بالامتنان.

الكازينو يواجه البحر عند نقطة حوالي منتصف الخليج؛ كما أنه يضم داراً للسينما فخمة. المكان كله كان مزيناً بقوالب مذهبة ومرايا. ليون تبادل بعض الملاحظات بحفنة من البقشيش.

«هل ترغبين في أخذ... ما يسمونه... رفرفة جناحين؟».

هزت رأسها: «أنا أفضل المراقبة».

خاب أملها حول الفيش؛ في جهلها تخيلته اكواماً من النقود أمام كل لاعب، لكن سرعان ما أصبحت منهمكة بالمراقبة. مدير القمار، لا مبالي، عندما يجرف المنصات، والتعابير النهمة اليقظة على وجوه اللاعبين. امرأة واحدة سحرتها بشكل خاص. كانت امرأة عجوزاً، البشرة الصفراء على وجهها وعنقها كانت كومة من تجاعيد دقيقة؛ وأنفها العظمي الكبير بارز مثل منقار طائر، والعينان السوداوان المستترتان تلمعان في جشع، عندما أصابعها الشبيهة بالمخالب تكمش أرباحها. مع ذلك هي بكل وضوح ليست بحاجة اليها. الخواتم العديدة على اصابعها، والجواهر على عنقها، والحرير والفراء لثوبها تقترح انها فاحشة الثراء.

«أنت جلبت لي الحظ» اخبرها ليون. كومته من

الفيش اخذت تكبر: «لكنني لن اشعر بالاغراء. سوف نذهب الآن».

استبدل فيشه بالمال وهما خرجا الى السيارة.

«تلك المرأة العجوز، من تكون؟» سألته رينيه.

«أنا لست أدري، لكنها دائماً هناك. انه كل ما تبقى لها، الفرحة باللعب».

«أنا اعتقدت انها تبدو شريرة... مثل النسر».

«انت واسعة الخيال، كانت مجرد معرفة، لكن ألسنا نحن جميعاً هكذا؟».

ادار السيارة، وهما تسللا باتجاه الشرق على طول الواجهة.

«ألن نعود؟».

«أنا افكر بشراب في منطقة بورنيشيه... انا اعرف مقهى ساحراً. الليل ما زال شاباً».

كان ضوء القمر ساطعاً على الخليج ونسيم الليل يحرك اشجار الصنوبر، ويملأ الهواء برائحته العطرة؛ وأضواء المدينة كانت مثل عقد براق، تلتف حول الهمس الناعم للبحر.

«لابول الصنوبر» لوح ليون بيده باتجاه الفيللات على يسارهما: «موضوع في خشب الآمور. انت تعلمين ماذا تعني آمور؟».

«ربما أشياء مختلفة لك ولي» هي واجهته.

لراحتها لم يتابع الموضوع، فقط ملمحاً: «أنا أتعجب».

مثل لو بولجين، كانت برونيشيه قرية لصيد الاسماك، والآن لها حصتها من يخوت المتعة. العديد منها كان مسحوباً على طول الشاطيء، مع النسيم يجلجل بين صواريها الخالية من الشراع، مثل غابة خالية من الاوراق. لم يكن هناك أناس عديدون؛ مع ان المقهى كان يحاول جاهداً للاعتقاد بأنه كان الصيف، مع الدفايات الكهربائية موضوعة على الشرفة، فإنه ما زال بارداً جداً الجلوس خارج الابواب. طلب ليون شراباً براقاً، لكنها لم تلتقط اسمه.

قالت بكل تواضع: «أنا أخشى ان اكون قد تسببت بورطة للعروض. انا حذرتك بأنني لست خبيرة. انت ستكون سعيداً عندما تصل فتاتك غداً».

كان يراقب بانتباه الفقاقيع التي ترتفع في كوبه.

«أنا لم ارسل في طلب اية فتاة اخرى» قال بهدوء: «لقد قمت بعمل ممتاز».

«لكن، يا مسيو...».

نظر اليها، وعيناه السوداوان كانتا متفحصتين.

«لقد تم ترتيب كل شيء مع مدام برينت. انت ستبقين؛ مدام لامارتين سوف تهتم بك، وعندما سينتهي كل شيء ستأخذك معها الى باريس وتضعك على طائرة

الى انكلترا.

شهقت: «حسناً، أحقاً! وبدون استشارتي؟».

«هل كان ذلك ضرورياً؟» تكلم ببرود: «هذه هي الفرصة الكبيرة لك. نحن نعتقد انك قفزت اليها».

كأن آفا لا تعرف ماذا فكرت حول ذلك! كانت غاضبة.

«أنا سأغادر غداً!».

«اذن انت فتاة حمقاء جداً».

كان هناك صمت طويل بينهما بينما هدأت. عرفت انه كان على صواب. كان يعرض عليها دراقة لوظيفة؛ ستقضي يومين آخرين في محيط فخم، وترتدي الثياب الفاخرة التي أحبتها. لا ارادياً يدها داعبت الفراء لمعطف المينك ـ باري سينزعج لعودتها المتأخرة على اي حال، وهكذا قد تكون كذلك معلقة لخروف كحمل.

«حسناً جداً» قالت: «أنا سأبقى، لكنني لا أحب طرقك الطويلة اليد».

ضحك بمرح: «الطرق لا تهم اذا انجزت النتيجة المرجوة».

عندما وصلا الى الفندق، اخبرها ان ترتدي فراء المينك خلال اقامتها هناك.

«ان لديه اسلوباً اكثر من اسلوبك» اخبرها بأدب،

بينما رينيه اخرجت قهقهة؛ معطفها الخاص كلف جزءاً يسيراً من كلفة المينك، وذلك اعتبرته تبذيراً.

«مدام لامارتين ستحضر لك ثوباً آخر لليلة الغد» تابع

«اوه، لكن، يا مسيو...» بدأت تعترض.

«يكفي!» قال بتبرم: «ثياب عارضاتي يضفن رصيداً الى داري؛ انت ستكونين في استعراض كل دقيقة تكونين فيها في الفندق».

وجدت ذلك ليكون صحيحاً؛ عندما، بعد وجبتها الخفيفة، التي احضرت الى غرفتها، نزلت الى الردهة، وكل شخص نظر اليها، النساء امتدحنها، والرجال نظروا شزراً. كانت سعيدة لتضع نفسها تحت حماية مدام لامارتين. سيليستي واصلت تجاهلها، زاعمة عدم فهم لا انكليزيتها ولا فرنسيتها، لكن واحدة من عارضات الرجل البدين ـ مسيو ديمونتي ـ كانت اكثر إلفة. انضمت الى رينيه في زاوية من الردهة وحدثتها بالانكليزية.

«آه، لكنك اكثر حظاً لتعملي لمسيو سبستيان» اخبرتها: «يعامل فتياته جيداً. مسيو ديمونتي، هو يقرص ـ انت لديك افضل غرفة، ونحن لدينا العلية».

كانت رينيه مندهشة لتسمع ان هيرميتاج يمتلك عليّات، وارتابت للمبالغة. الفتاة، كورين، كانت تنظر

اليها بفضول صريح.

«انه رومنطيقي... المسيو يسبح عبر الخليج ليراك ويرتبط معك على الفور».

و... القصة انتشرت. اشتبهت رينيه أن كل ذلك كان على سبيل الدعاية، وكان ذلك ما توقعته من ليون.

«لكن عندئذ انت مثل انطوانيت» تابعت كورين: «اوه، هو عصبي عندما فقدها، كل باريس تعرف ذلك».

«انطوانيت؟» جعدت رينيه حاجبيها: «من هي؟».

«ألم تسمعي بأنطوانيت؟ أجمل عارضة أزياء في كل باريس؟ وجدها تعمل في محل، ابتكرها مثلما يبتكر ملابسه. كانت عارضته المفضلة ومن ثم حدث شيء ما لها ـ اصيبت بنوع من حادث، هي مريضة! وكل شيء انتهى».

«كم هذا مريع!» كانت رينيه مصدومة.

«نعم، هذا محزن جداً. مسكينة، مسكينة انطوانيت. جميلة، ومرحة، والآن، لا شيء» كورين نشرت يديها، ورينيه استنتجت انها تعني ان الفتاة كانت ميتة: «مسيو سبستيان تصعب مواساته» انتهت كورين.

كانت رينيه مندهشة لتختبر غصة من غيرة حادة: «كم مجنونة يمكنك ان تكوني؟» قالت لنفسها: «هو لا شيء بالنسبة لي، لا شيء بتاتاً».

«هل كانا عاشقين؟» سألت بجفاء.

هزت كورين كتفيها: «من يدري؟ ربما هكذا، ربما لا؛ لكنه الآن قد وجدك، وهو سيكون سعيداً».

«اوه، هل سيكون؟» فكرت رينيه: «يلتقطني واقفة لهذه الجميلة المغادرة في اي مجال!» لكنها كانت متكدرة بلا حساب بايحاء كورين، مع ذلك، اخبرت نفسها، انه لمضحك ان تتخيل ان ليون كان غير متصل؛ رجل مثله كان بدون شك لديه صديقة في كل مكان.

بوجود وقت قليل لتدخره، كتبت رسالة الى البيت، واعطت والدتها حساباً حيوياً عن مغامراتها، لكنها لم تذكر دور ليون فيها. عرفت كم هن سريعات الامهات ليقفزن الى الاستنتاجات حول كل ذكر بناتهن يصبحن متورطات معه. كتبت ايضاً الى باري، ذاكرة فقط ليون في مقدرته المهنية، وحذفت وصف كيفية لقائهما، وأي ذكر لخروجهما الليلة الماضية. عمداً اعطت انطباعاً ان ليون كان متوسط العمر وليس جذاباً. باري يميل ليكون غيوراً ولا حاجة لاثارة شكوك لا أساس لها مهما كانت لتدمير سلامة عقله.

ارسلت بطاقات بريدية مصورة تمثل البحر والسماء الزرقاوين الى كريستين ومايك، عالمة انهما سيقدران الطوابع الاجنبية.

عندما تقدم النهار، بدأت تفهم الغرض من العرض؛ ليون طاف بين الضيوف، ساحراً مشعاً ويحدد اكثر فأكثر من المواعيد في دفتر عناوينه. مع ان ذلك شائع مع معظم دور الأزياء الباريسية، فصالون سبستيان كان يعتمد اكثر فأكثر على حيويته وعلى بوتيكه لطابقه الارضي مع ثيابه الارخص الجاهزة للارتداء، كان قلب ليون في نماذجه الحصرية. بدا حقاً متكرساً لعمله. رينيه تعجبت بخمول ماذا سيكون الشكل ليكون لديها زوج أو خطيب الذي يعرف الكثير عن ملابس النساء. مرتبكة، فكرت، لكن في نفس الوقت بالاحرى مبتهجة. باري لم يلاحظ بالتفصيل ماذا كانت ترتدي، طالما هي كانت تبدو ما يسميه جميل.

تلك الامسية بدلت الى فستان سهرة وضع لها، مخملي هذه المرة، في زرقة منتصف الليل، وحامت حول الردهة، حتى ادركت انها كانت تنتظر ظهور ليون. كان قد اختفى مع احدى زبوناته بعد العرض، ولم يكن هناك شك بأنه كان يرفه عنها. متوردة داخلياً، احست باتجاه افكارها، فأخذت طريقها الى المصعد. لا تريده ان يخرج معها ثانية، قالت لنفسها، وبكل تأكيد لا تريده ان يتخيل بأنها كانت تتوقعه ليقوم بذلك.

نزل المصعد وهو خرج منه.

«أنا فكرت انك قد تكونين هنا» قال: «أنا اود

التحدث اليك» قادها الى زاوية مهجورة من الردهة، مستورة بصف من الزهور.

«شراب؟».

هزت رأسها: «فقط قهوة، من فضلك» اذا هي تريد التحدث الى ليون فهي بحاجة للحفاظ على رأس بارد، لكن عندما جاءت القهوة كانت مزركشة بشراب.

«يا مدموازيل ثورنتون» قال فجأة: «انا سعيد جداً معك. انت تحتاجين، بالطبع، الى قليل من التدريب، ومزيد من الخبره، لكنني استطيع ان اجعل منك عارضة ازياء عظيمة».

«مثل انطوانيت؟».

حالما سألت السؤال ندمت عليه. كل الحياة خرجت من وجهه، والعينان السوداوان كانتا كئيبتين عندما التفت بعيداً عنها. أحب الفتاة، ومرة ثانية طعنتها الغيرة.

«شخص ما كان يتحدث».

هزت كتفيها ـ الايماءة كانت معدية: «ألا يتحدثون دائماً؟».

التفت ثانية اليها: «عندما شاهدتك تنظرين الى واجهة ذلك المحل، انا اعتقدت للحظة انك كنت شبحها» لا ارادياً ارتجفت رينيه، لكنه تابع بدون ان يلاحظ: «انت لديك نفس الصفة النادرة، صفة النجومية

التي تجعل الفتيات الخام ينطلقن الى القمة. أنا عرفتها فيها من البداية، والآن أنا أراها فيك. أنا استطيع ان اجعلك مشهورة».

مجاهدة لتتكلم بخفة، قالت: «اوه، حقاً، يا مسيو، هل هذه مزحة؟».

«أنا جاد. عندما ذهبت انطوانيت، أنا فقدت افضل عارضة لدي. انه يعني الكثير ان تكون لدي فتاة تعمل لي والتي تلهمني، ومعها اشعر بما هو حاصل. مجموعتي الاخيرة» هز كتفيه: «ليست جيدة. جولي لن تعود. انا لدي مكان شاغر».

«لكن بكل تأكيد يمكنك ان تجد فتاة ما اكثر كفاءة مني؟».

«كفاءة؟» كان هناك تهكم في صوته عندما استعمل كلمتها: «اوه نعم، اكثر كفاءة، مدارس عارضات الازياء، تخرج فتيات ذوات كفاءة بالمئات، جميعهن مدموغات بنفس الشيء، بدون شخصية فردية، ولا جدوى منهن لي. يا مدموازيل ثورنتون، انا اريدك ان تأتي الى باريس، لتعملي معي لمدة ستة اشهر، او على اي حال حتى بعد مجموعتي التالية. انا استطيع ترتيب التصاريح، وأنا سأدفع لك راتباً مغرياً».

للحظة شعرت بالاغراء. باريس كانت قبلة أحلام كل امرأة ـ لكنها كانت مصممة بأن لا تتورط مع ليون،

وكان هناك باري.

«أنا أخشى ان ذلك مستحيل تماماً».

«مستحيل؟ لماذا؟ لماذا؟ يا مدموازيل، انت ولدت لكي تكوني مانيكان، انت لا تعلمين ما الذي ترمينه بعيداً».

«أنا بوجه خاص لا اريد ان اكون مانيكان».

حدق اليها بثبات: «انه ربما بسبب هذا الشاب الذي ستذهبين للقائه في لندن؟ انه يقف في طريقك؟ هل انتما مخطوبان؟».

«هو سيعترض كثيراً على زيارة ستة اشهر الى باريس» قالت، متجاهلة السؤال عن الخطوبة.

«اذن هو أناني جداً ليعيق مستقبلك».

«لكنني لست فتاة مستقبل. انا فقد احدد الوقت حتى نتمكن من الزواج. في الواقع انا وعدت باري بالتخلي عن عرض الازياء بالجملة».

«يجب انك تحبين هذا الشاب كثيراً، لكي تتخلي عن الكثير لأجله».

نظرت لتلتقي نظرته اليقظة، لكنها لم تستطع قراءة تعبيره.

«أنا لن أتخلى عن أي شيء» قالت بخفة: «ليس هناك شيء جدير بالاستحقاق اكثر من الحب والزواج».

«موافق، ليس هناك شيء جدير بالاستحقاق اكثر من

الزواج مع حب».

«بالطبع انا احب باري» قالت بتبرم.

ضحك بتسلية حقيقية.

«اوه، يا رينيه، يا عزيزتي، كم انت صغيرة!».

كان هذا كثيراً جداً! وقفت، مع كل الكرامة التي استطاعت ان تحشد.

«اذا كان هذا هو كل ما تريد قوله، فأنا سأقول لك تصبح على خير، مسيو سبستيان».

«اذن هو مستحيل اقناعك بالعمل معي؟».

«حتماً».

«حسناً، ارجو ان لا تندمي على قرارك».

سارت مبتعدة، مدركة انه ما زال يراقبها، نصف نادمة سلفاً على قرارها. باريس ستكون مرحاً وهي دائماً أرادت خبرة مصمم ازياء، لكنها كانت مقتنعة بأنها قامت بالخيار الصحيح.

في الصباح التالي عندما نزلت، وجدته بانتظارها.

«ليس هناك الكثير للقيام به اليوم» اخبرها: «فقط استعراض قصير عند الساعة الثالثة، ثم نذهب جميعاً الى البيت. ألا تأتين لمشوار قصير لمشاهدة شيء ما من الريف؟».

كان مرتدياً كنزته البيضاء وبدا صغيراً وصبيانياً بشكل مناف للعقل. في الخارج كانت الشمس ساطعة، ومع

نهاية المؤتمر في المنظور، كان هناك جو اجازة حول المكان.

«أعتقد انني يجب ان ابقى واحزم امتعتي» قالت بحدة.

«لكن ذلك هو غباوة. ماذا لديك لكي تحزمي؟ يا رينيه، اليوم انت ما زلت في خدمتي وأنا آمرك بالمجيء معي».

«ذلك لا يعطيني خياراً، اليس كذلك؟» ضحكت. في سرها كانت مشتاقة للخروج معه في الهواء النقي.

«اذن احضري معطفك، لكن لا تدعي مدام لامارتين تشاهدك، هي قد لا توافق» اخبرها بوقار ساخر: «أنا سأنتظر في الخارج».

السيارة السوداء الكبيرة اصبحت مألوفة لديها. تسللت الى داخلها مع احساس لذيذ لتلعب دور الغائبة عن العمل.

سافرا جنوباً شرقاً من لو بولجين الى بوان دو بنشاتو، الحد الاقصى الغربي الحقيقي من خليج لابول، وانعطفا على طول الطريق الساحلي، ووجدا انفسهما في عالم مختلف. الساحل هنا كان كثير الجروف وبرياً، والبحر يتمخض بين الصخور؛ في الحقيقة هكذا كان المنظر برياً لدرجة ان ليون اخبرها ان المكان كان معروفاً بالساحل الوحشي الثاني، بدلاً من

اسمه الأصلي الساحل العظيم. الداخل للجانب الريفي من جهة اخرى كان منبسطاً تماماً. رأت رينيه الفلاحين يعملون في الحقول، رجال اشداء، ونساء يرتدين السواد مع قبعات بيضاء. هن رفعن ايدي شبيهة بالمخالب الى وجوه سمراء مجعدة، لحماية عيونهن من الشمس، عندما راقبن السيارة تمر.

«عجائز قبل اوانهن» قال ليون: «لكن الشابات لا يبقين على الارض، ومن الذي يستطيع ان يلومهن؟ انها حياة شاقة، وهن لا يردن ان يذبلن قبل الاوان مثل هؤلاء الارواح المسكينة».

اجتازا ارض المستنقع؛ حيث صفوف من الاعشاب القاسية تقسم ما قيل لها بأنها كانت اواني املاح.

«انا اعتقدت ان الاملاح تستخرج من المناجم» قالت رينيه.

«انها يمكن ان تجرف من مستنقعات الاملاح، لكن معظم هذه الاواني لم تعد تستعمل، مع ان محاولات جرت لانعاش الصناعة. لقد احتكرت الحكومة الملح».

بالنسبة لرجل مدينة بدا عالماً تماماً بطرق الريف. لاحظت ذلك.

«جماعتي مهتمون بأشياء اخرى بجانب الموضة» قال باختصار، ورينيه خشيت لتكون فضولية جداً. بعد كل ذلك، هو كان رسمياً رب عملها، ولا يحق لها ان

تتجسس على حياته الخاصة.

قادا على طول شبه الجزيرة الصخري، حتى وصلا الى بوان دو كروازيك عند قمتها، التي تأوي موقعاً للتخييم، من هناك على طول الساحل الشمالي، الى لو كروازيك نفسها. هذا المكان الصغير كان مرة ميناء بحرياً ذو أهمية ما، مواجهاً كما هو خليجاً محاطاً باليابسة. الصيادون بالشباك واليخوت ما زالوا يملأون الارصفة، وسارا بجانب احداها، يراقبان زورقاً يفرغ حمولته من الاسماك. كانت هناك عدة مطاعم وفنادق متواضعة على طول الحاجز المائي، لكن كان هناك القليل من الزائرين، ومعظم السكان يبدون فقراء.

«هم يقومون بعمل افضل في الموسم» اخبرها ليون: «هذا المكان هو نزهة قصيرة مفضلة من لابول، لكن صيد الاسماك وحده يؤمن معيشة فقيرة».

انعطفا عائدين من الرصيف وسارا نزولاً الى الشارع الضيق. هذا يحتوي على منازل للفقراء، ومما استطاعت مشاهدته، والذي كان مقداراً كبيراً، ان معظم النوافذ كانت بدون ستائر، والداخل كان عارياً وخالياً من وسائل الراحة، مع ارضية حجرية والحد الادنى من الاثاث الخشبي. وصلا الى مبنى يحمل اشارة مقهى.

«نحن سنتناول الغداء القروي» قال ليون بمرح: «لا مطعم مذهب اليوم، لكن الطعام طازج وجيد».

ارشدها لتهبط بعض الدرجات الحجرية الى غرفة شبه ارضية، عارية مع جدران مدهونة بالابيض وسقف ذو اعمدة. الطاولات على شراشف مربعة ودعائم زجاجية للسكاكين والشوك.

«تذكري الاحتفاظ بما لك، انت فقط ستحصلين على واحدة من كل شيء» حذرها ليون: «هذه ستكون وجبة فرنسية حقيقية، تقدم بأسلوب فرنسي».

كانت الشورباء ممتازة، والسمك صيد حديثاً، والعجة شهية؛ هما انتهيا بالجبنة البيضاء الطرية والفواكه الطازجة. اشرفت على خدمتهما امرأة عجوز، ترتدي مريولاً ابيض كبيراً فوق ثوبها الاسود. حيث انها تكلمت فقط باللغة المحلية فالحديث كان محدوداً، لكن رينيه اكلت كل ما قدم لها، كونها جائعة بدهشة، محتفظة كما قيل لها بزوج واحد من الادوات المخصصة لكل مراحل الوجبة. الشيء الوحيد الذي وافقت عليه كان الحوض الخشبي الكبير من الرخويات البحرية المدخنة. تناول ليون عدداً منها ليسعد المرأة العجوز. تناولا شراباً عادياً، الذي وجدته حامضاً وفظاً.

خرجا الى الشارع الضيق، عند الطرف الآخر الذي منه يشع الخليج الصغير زرقة خلف الرصيف والاشرعة الحمراء لمراكب الصيد تعبره في طريقها الى البحر.

انه عندئذ ذلك الحادث الطفولي الطفيف حدث، والذي مغزاه لم يظهر الى رينيه الا بعد عدة اشهر. عندما بلغا الى الرصيف، بحار ملتح كان ماراً. توقف في مواجهتهما تقريباً ليشعل سيجارة غولواز كريهة الرائحة، والقى عود الثقاب الذي كان لا يزال مشتعلاً على الرصيف. في الحال وضع ليون قدمه عليه ورأت رينيه، لدهشتها، ان وجهه اصبح شاحباً.

«انت يجب ان تكون اكثر حذراً، ايها الشيخ» قال للرجل، الذي زمجر وحيث ان سيجارته لم تسحب، كان على وشك ان يشعل عود ثقاب آخر. في الحال أخرج ليون ولاعته الذهبية وأشعلها.

«اسمح لي».

الرجل تقبل اللفتة مع زمجرة اخرى وتابع طريقه، تاركاً آثار اللهب خلفه. راقبه ليون يذهب، وقد عقد حاجبيه.

«انت لا تستحسن التدخين؟» سألت رينيه، حائرة من ملامحه: «مع ذلك انت نفسك تدخن».

«انه في قليل او كثير الزامي» قال على غير هدى: «على المرء ان يدخن ويشرب مع زبائنه. لستة اشهر انا تخليت عنه» عبس: «أنا فعلت ذلك للتكفير، وقد كان تطهيراً».

مع حركة غامضة قام بها كأنه يعيد الولاعة الى

جيبه، افكاره بوضوح بعيدة جداً. انزلقت الى الارض وتابع سيره، بدون ان يلاحظ. انحنت رينيه لكي تلتقطها، لكن شخصاً آخر كان أسرع. صبي صغير أشعث خطفها من تحت يدها الممدودة ولاذ بالفرار نزولاً الى الشارع، لكن بوهلة، اصبح ليون واعياً للوضع وجدّ في ملاحقة سريعة. أمسك الطفل من قبة قميصه المتسخ، وأداره. كان مخلوقاً يستحق الشفقة؛ قدمان عاريتان تحت جينز ممزق، ووجه هزيل، فيه عينان عسليتان حزينتان.

«ايها اللص الصغير!» قال ليون بنعومة، مستخرجاً ولاعته من يده الشبيهة بالمخلب.

«يبدو جائعاً» علقت رينيه: «ويستحق الشفقة. انت حصلت على ولاعتك، فدعه يذهب، اليس كذلك؟».

فتشت في محفظتها عن بعض الفرنكات لتعطيها للطفل، عندما شيء ما في نوعية صمت ليون جعلها ترفع رأسها وتنظر اليه. تعبير غريب كان على وجهه، كأن فكرة عظيمة قد خطرت له.

«يجب ان لا نشجعه على السرقة» قال بحزم: «لا، يا عزيزتي، يجب ان يذهب الى الشرطة ليتعاملوا معه».

«ليون، ارجوك، انت لا يمكنك...» رأت الهلع في العينين العسليتين عند ذكر الشرطة ـ كلمة فهمها الطفل جيداً: «أعطه فرصة! هو... هو مجرد طفل».

«الطفل يمكن ان يصبح مجرماً اذا لم يتم اصلاحه».

«نعم، لكن الشرطة...» لم تكن تعرف شيئاً عن العدالة الفرنسية، سواء يتعاملون برفق أم لا مع الجانحين الصغار؛ رأت فقط الوجه الحزين للطفل. ليون لديه كل شيء، ويستطيع ان يكون رحيماً؛ توسلت، مدركة انه كان غير مستجيب تماماً. خاب أملها، ولم تكن تعتقد بأنه سيكون هكذا قاسياً. كلماتها تلعثمت لتقف وخيم صمت بينهما، خلاله ليون والطفل حدقا اليها بإمعان. عندئذ تكلم ليون، بحدة، وبجفاء، في نغمة لم تسمعها منه من قبل.

«أنا سأدعه يذهب ـ واكثر، انا سأحاول ايجاد عائلته وأساعده، اذا وعدت بالعمل لي في باريس».

حدقت اليه: «ابتزاز؟».

هز كتفيه: «سمّه ما شئت. انا اخبرتك انني لست مختصاً حول الوسائل التي استعملها لنيل ما اريد».

«اوه، انت جدير بالازدراء!».

لم يقل شيئاً، لكنه تورد.

«واذا رفضت؟».

«عندئذ انا اخشى بأنني سأحول هذه السرقة الصغيرة الى الشرطة».

ليعطي معنى لكلماته، شخصان يرتديان قبعتين ظهرا عند نهاية الشارع. الطفل تململ وأخذ يئن، وادار

عينين متوسلتين الى رينيه. بكل تأكيد، فكرت، في الواقع لا يستطيع ان يعني ذلك، لكنني هل اجرؤ على المجازفة؟ الشرطيان تقدما بخطى قياسية، والطفل ارتجف بخوف. قلبها ذاب.

«حسناً جداً» قالت من بين أسنانها: «انا اعتقد انك متوحش، لكنني سأفعل ما تريد».

«هل تعدين؟ كلمة امرأة انكليزية؟».

«أعدك».

ابتسم وأخذ الطفل باليد، قائلاً شيئاً ما بالفرنسية. الطفل نظر اليه بتعجب، عندما الشرطيان مرا جنباً الى جنب. هما نظرا الى المجموعة بارتياب، وأصابع الطفل اشتدت على يد ليون. لم تستطع ملاحقة الحوار الذي دار، لكن الشرطيين ابتعدا غير راضيين، وليون مارس مساعدته الجديدة باتجاه المكان حيث أوقف سيارته.

«الى اين ستأخذه؟» سألت رينيه بارتياب.

«الى منزله ـ لأرى عائلته. ربما أستطيع ان أجعل منه خادماً، مع انه لا يبدو مستهوياً في هذه اللحظة ـ وأنت من الافضل ان تظلي على مسافتك، فهو قد يكون لديه براغيث».

أضاء وجه الطفل، عندما أشار ليون بأنه يجب ان يدخل الى السيارة، ثم اكفهر بارتياب، لكن ليون تكلم

ثانية بلطف ومطمئناً، وانزوى الى جلد المقعد الخلفي مع نظرة ابتهاج.

الكوخ الذي ارشدهما اليه كان مصاباً بفقر لا يصدق، مجهزاً بطاولة، وعدة كراسي قاسية، ولا شيء على الارضية الحجرية. المرأة التي ناداها الطفل «جدتي» ظهرت وعصفت عليه بعنف، لكن مرة أخرى سنحت الفرصة الى ليون ليشرح ما اراد، فهدأت. مهما كان العرض الذي قدمه لها، فقد تقبلته بكرامة وتحفظ. اخيراً غادر، بعد ان وضع كومة من الاوراق المالية على الطاولة، التي نظرت اليها بغموض.

«عن ماذا كان كل ذلك؟» سألت رينيه.

«عندما الطفل يصبح نظيفاً ويرتدي بشكل لائق، سيأتي عندي في باريس. انا سأجرب يدي لاصلاح لص. هم مستقلون، هؤلاء البريتانيون، وهي لن تقبل شيئاً لنفسها. الطفل، بيير، اكبر مما يبدو، لكنه لم يستطع الحصول على عمل، وهو طفل صالح، الخ، الخ. انا لم اخبرها انني أمسكته يسرق ولاعتي».

في صمت دخلت ثانية الى السيارة. هذه لم تكن تبدو مثل الكلمات لرجل بلا احساس تكفي لتحويل طفل، الذي، كل ما قبل وما تم، كان فقط قد اختطف الهدف الذي أسقط.

«ليون» بدون ذكاء استعملت اسمه: «انت في الواقع

لا تمني تحويله، اليس كذلك؟».

«لكن بالطبع» الجواب جاء سريعاً جداً قليلاً.

انا لا اصدقك».

«لكنك ستحافظين على وعدك؟» سأل بقلق.

«نعم، انا لا اعود عن كلمتي».

كانت متهيجة للصورة امامها ـ باريس وعالم تصميم الازياء. باري لا يستطيع ان يلومها لأنها اكرهت على الذهاب. كظمت اقتراحاً مزعجاً الذي لا يرى عينا لعين معها على بيير؛ سيعتقد انها كانت عاطفية بحماقة، لكن متذكرة عيني الطفل المتوسلتين، شعرت بالتأكيد انها استطاعت ان تجعله يفهم. عندئذ تحولت افكارها الى مسائل عملية.

«اين سأعيش؟».

«هناك مدام دوبونيه، التي لديها بنسيون محترم جداً في باسي. شروطها معقولة، وأنا سأتصل بها لدى عودتي».

فسر كل ذلك! تعجبت اذا كان قد وضعت انطوانيت في بنسيون مدام دوبونيه.

مدام لامارتين التقت رينيه بيدين مرفوعتين وعتاب ـ اين هي كانت؟ كان الوقت متأخراً. على الاقل رينيه توهمت ان ذلك ما كانت تقوله. كلماتها تلاشت عندما رأت ليون، وعرفت وميضاً جاء الى عينيها.

«اصمتي» قال ليون بحدة. اخبرها بأن ينتظراه في الردهة بينما ذهب الى مكتب الفندق. بدأت مدام لامارتين نواحاً ناعماً مع عين واحدة على رينيه. بوضوح كانت قلقة للتأخير.

في فترة قصيرة عاد ليون حاملاً أوراقاً مطبوعة وأومأ اليهما الى طاولة كتابة.

«ارجو ان توقعي هذه، يا رينيه» قال: «انها للسجلات وهكذا انت ستدركين انني عنيت ما قلت».

الورقة تصرح ان مدموازيل رينيه ثورنتون تتعهد بالعمل لصالون سبستيان حتى بعد المجموعة التالية، مع خيار بإعادة الارتباط. رقم الراتب كان سخياً. ظهر ليون ليكون تلك الظاهرة غير العادية للفرنسي السخي.

وضع قلمه في يدها. لاحظت بغموض ان ذلك كان لعارضة ازياء دي لوكس شهيرة عالمياً، لكنها ترددت. الوعد اعتصر منها تحت ادعاء مزيف. نظرت اليه باتهام.

«انت خدعتني» قالت.

رفع حاجباً واحداً: «انا فعلت ما رغبت به مقابل وعدك».

لاحظت ان ذلك حصر ليس فقط اطلاق سراح بيير، بل توليه كعضو نافع للمجتمع، لكنها ما زالت مترددة.

«افترض انك لم تستطع ادخالي؟ يجب ان يكون

هناك الكثيرات من العارضات الفرنسيات اللواتي بحاجة الى العمل».

«ذلك سيكون سيئاً للغاية» قال بصبر: «لكنني سأنجح».

نظرت مدام لامارتين من واحد الى الآخر، حائرة بإكراه رينيه. الفتاة كانت محظوظة بشكل غير معقول لتلتقط عين المسيو، بكل تأكيد هي يجب ان تدرك ذلك؟ لكنها كانت انكليزية، وكل الانكليزيات مجنونات. هزت المدام كتفيها لما لا يمكن التنبؤ به من الانكلو ـ ساكسون.

مال ليون الى الامام وأمسك بمعصم رينيه. عند لمسته بدت عظامها لتتحول الى ماء؛ عيناه سوداوان ومرغمتان، كانتا مثبتتين على عينيها. شعرت بالترسيخ الكامل لشخصيته المغناطيسية ترغب منها بأن توقع. لم تستطع ان تنظر بعيداً، رغم انها عرفت ان تلونها كان يرتفع، وكان هناك شيء ما منوم في نظرته.

«وقعي» قال بنعومة.

بخضوع اطاعت.

اطلقها والتفت الى مدام لامارتين، التي خرطشت اسمها على الصفحة كشاهدة.

«ستكون لديك نسخة» قال الى رينيه.

وقفت تفرك معصمها حيث امسكها ليون، متعجبة مع

هجمة من الريبة حول ما وضعت نفسها فيه وكيف ستشرح الى باري.

الفصل الثالث
خاتم الخطوبة

انطلق عرض بعد الظهر بدون هزة. ألقى مدير الفندق خطاباً، وليون قال بضع كلمات، وكل الفتيات الستة أعطين هدايا. عندئذ تسلل ليون بعيداً في سيارته، تاركاً المقربين اليه لازالة كل شيء قبل اللحاق بالقطار الى باريس. لم يتحدث الى رينيه ثانية، فقط شملها بعبارته العادية، «الى اللقاء، يا اطفالي» وشعرت بأنها مغبونة بغرابة؛ تلك كانت سخافة، قالت لنفسها؛ فهي كانت الوحيدة من موظفاته، وليست لديها رغبة لتكو

منفردة.

كانت غرف تغيير الثياب صاخبة ـ الفساتين يجب أن تعبأ بعناية، والاكسسوارات يتم التحقق منها؛ مما لابد منه كان هناك جدال حول بعضها، حيث انها أصبحت مخلوطة مع لوازم العارضات الأخريات. كانت سيليستي مزدرية ورفضت المساعدة؛ رينيه كانت آسفة لمدام لامارتين، التي كانت مسؤولة عن جميع المعدات، لكن كان هناك القليل الذي تستطيع القيام به لمساعدتها، لكونها غير متآلفة مع الروتين ومرتبكة بطوفان الفرنسيين الصاخبين الذين هاجموها على كل الجوانب وكانوا بعيدين عن ادراكها.

في الموسم كانت هناك خدمة جوية مباشرة الى لابول، لكنها لم تكن بعد قيد العمل، لهذا السبب تم ترتيب طريق غير مباشرة لرحلتها الى الوطن؛ وليون اراد ابقاءها تحت جناح مدام لامارتين حتى تكون بأمان على الطائرة الى لندن.

لم يكن ذلك حتى كانت جالسة في القطار على الرحلة الطويلة عبر فرنسا أن سنحت لها الفرصة لتستجمع نفسها وتراجع أحداث الصباح. كان يتوجب عليها ان تستدعي خداع ليون؛ فهي لا تصدق الآن انه كانت لديه أية نية لتسليم بيير الى الشرطة، لكنه شاهد كربتها واستفاد منها ـ لو أنه لم يعترف بأنه ليست لديه

وساوس عندما اراد السير بطريقته الخاصة؟ تعجبت اذا الورقة التي جعلها توقعها كانت في الواقع ملزمة. ربما تستطيع الالتفاف حولها، لأنه أصبح اكثر فأكثر وضوحاً بأنها لا تستطيع العمل معه. اذا لم يستطع الحصول على عقد قانوني، الذي سيحل المشكلة، لكنها كانت واثقة أن ذلك سيأخذ مزيداً من التفاصيل القانونية لافشال ليون سبستيان عندما يكون مصمماً على مسيرة من العمل. لماذا كان هكذا ملحاً على الارتباط معها، لا تستطيع ان تفهم. لقد بدا أنها تحمل بعض الشبه السطحي لصديقته الميتة، لكن ذلك قلما يكون تفسيراً كافياً؛ علاوة على ذلك هي لم تكن انطوانيت، فعروضها في هيرميتاج كانت تقريباً مناسبة، لا أكثر. سرعان ما سيكتشف عيوبها اذا كانت مجنونة كفاية لتذهب الى باريس. انه كان منجذباً بها كان واضحاً، وهي، بالرغم من نفسها، شعرت بسحره، لكن ثلاثة أيام ساحرة في ظروف غير عادية كانت شيئاً واحداً، واتحاد عمل طويل شيء مختلف تماماً، وليون بعد كل ذلك كان رجل أعمال. بكل تأكيد عندما هو عاد الى باريس، سيدرك انه لا يستطيع تحمل الانهماك في ما قد يكون فقط نزوة؟ نجاح انطوانيت جعله مفرطاً في الثقة، لكن عندما ادرك حدودها الخاصة، سيخيب أمله، وحتى قد يصبح غاضباً من عدم كفاءتها، وتلك ستكون

تجربة مدمرة لها.

لا تستطيع ان تزعم انها لم تستمتع بإقامتها في هيرميتاج، وباهتمام ليون، لكن ذلك كله قد انتهى. الظروف كانت رومنطيقية وغير حقيقية، وفي الحقيقة هي كلما تذكرتها، كلما بدت ساحرة. نقلت بعيداً بواسطة محيطها الساحر، لكنها الآن تعود الى العالم العادي لكل يوم، وادراكها العادي الجيد كان يؤكد نفسها. لذا، كانت واثقة، انه كان عالمه. كان يقرر، عندما كانت تعمل، كم كانا كلاهما أحمقان، ومهما كان الخيال الذي لديه لها فإنه سرعان ما سيتبخر عندما عاد الى عمله.

في الوقت الذي وصلت فيه الى باريس، كانت قد نجحت في اقناع نفسها بأنها لن تسمع المزيد من صالون سبستيان، ولن تكون هناك حاجة لكي تقلق حول وعدها الطائش.

كان الظلام قد خيم عندما وصلت الى المحطة على الضفة اليسرى، ومع ان مدام لامارتين كومتها في سيارة أجرة، مع انذارات صارمة بأن لا تفقد طائرتها، الى مطار اورلي، أيضاً على الجانب الجنوبي، فهي لم تشاهد شيئاً من باريس. حجز لها مقعد على رحلة ليلية، وكانت منهمكة جداً مع روتين مراقبة جواز السفر والاقلاع جواً بحيث لم تعر الكثير من الانتباه لما

حولها.

على الرحلة القصيرة عبر القنال قررت انها حتى لن تخبر باري حول عرض ليون. سيعتبر انها كانت بلهاء لتورط نفسها في مثل هذه الحماقة، ولن يفهم قلقها حول بيير. وحيث انها كانت تشعر الآن بأنها نفسها حمقاء، فهي لا تريد ان تتحمل تعليقاته اللاذعة.

ابرقت اليه عن موعد وصولها، وتأملت ان يأتي للقائها، لكن في مطار لندن لم يكن هناك اثر له. كان الوقت متأخراً جداً ورذاذ مطر خفيف كان يتساقط عندما صعدت الى باص المطار عاكسة انه كان من غير المعقول ان تتوقع ظهور أي شخص في مثل هذه الساعة ليحييها؛ علاوة على ذلك، قد يكون ما زال حانقاً لأنها أخرت عودتها. عندئذ تذكرت انه كان يوم سبت، وربما ذهب الى بيته لقضاء نهاية الاسبوع ولم يستلم برقيتها.

كانت تنظر الى الامام لكي تشاهده وشعرت بالكآبة عندما جلست الى مقعدها في الباص؛ وهذه الرحلة لم تنته بلقاء عاشقين.

وبما أن الوقت كان متأخراً، فهي وجدت صعوبة في العثور على سيارة اجرة وكان عليها ان تدفع اجرة اضافية وكان الوقت قد جاوز منتصف الليل عندما اخيراً صعدت الدرجات الى شقتها. لدهشتها، شبح اسود وقف على الدرجة العلوية.

«رين!».

«كريس! بالله عليك ماذا تفعلين هنا؟».

«أنا جئت أتوسل قضاء ليلة. أنا منبوذة، لكن رغم ان برقيتك تقول انك ستعودين الليلة، وعندما تأخرت هكذا فكرت في قضاء الليلة على السلم».

فتحت رينيه بابها، متعجبة ما الذي دفع بشقيقتها اليها الآن. كريس لحقت بها الى الغرفة. كانت ترتدي جينز، وكنزة ومعطفاً؛ وجهها الجميل كان ملطخاً بالاوساخ وهي بدت شاحبة ومتعبة.

«من الافضل ان تغتسلي بينما أعد بعض القهوة» قالت رينيه، مشعلة الدفاية الكهربائية: «الحمام عند نهاية الممشى؛ عندئذ يمكنك ان تخبريني ما الذي حدث».

نظرت كريس الى يديها الوسختين: «أعتقد انني بحاجة للتنظيف».

ألقت رينيه اليها بمنشفة، والفتاة غادرت، بينما رينيه فكرت بكل احتمال غريب لتحسب لظهورها غير المرغوب.

لكن قصتها لم تكن هكذا مكفهرة بعد كل ذلك. جاءت الى المدينة على ظهر الدراجة النارية لريك؛ الآلة تجاوزت سنوات شبابها بفترة طويلة فتعطلت في رحلة العودة. لقد كانت في المرآب بانتظار التصليح،

الذي، بسبب يوم السبت، لا يمكن انجازه قبل يوم الاثنين.

«نحن اتفقنا فيما بيننا ريك ينام في فندق رخيص، وأنا قلت بأنني سآتي الى هنا» كريس اخبرت شقيقتها: «انا اتصلت هاتفياً بالوالدة قائلة انني هنا، وأنا آمل ان بإمكانك ان تقرضيني الاجرة لأعود الى البيت غداً».

«هو يستطيع ان يمشي وهذا هو كل ما يهمني، فهو خذلني هكذا، لكنني اتوقعه بأن يسافر متطفلاً. انا استطيع ايضاً، اذا انت لا تستطيعين...».

«بالطبع انا استطيع» قالت رينيه بتسرع: «انا لا احب فكرة سفرك متطفلة».

«انا فكرت بأنك نوعاً ما لن توافقي على الفكرة» ركزت كريس نفسها بمزيد من الارتياح على كرسي رينيه المريح: «هذا سيناسبني لهذه الليلة، وأنا مشتاقة لسماع كل شيء عن رحلتك».

«الوقت متأخر جداً...» بدأت رينيه اختبارياً: «وأنا متعبة».

«غداً الأحد، ونحن نستطيع ان نرقد... اوه، على فكرة، أنا كتبت لأجل وظيفة؛ سكرتيرة، يبدو ان هناك نقصاً لهذه الوظيفة هنا».

حاولت رينيه ان تتخيل شقيقتها تعمل في مكتب، وفشلت، لكن يبدو ان ذلك هو ما ارادت القيام به؛

وأنها كانت تخطط للمشاركة في شقة علّية مع فتاتين اخريين، وتستمتع بحياة ليلية مزاجية تحت الاضواء الساطعة، ربما شرحت قرارها. شعرت رينيه بقليل من الخوف حول مستقبل كريس. كأنها أحست بانزعاجها، قالت كريس بارتياح:

«وبالطبع ستكونين قريبة لابقاء عينك عليّ. الآن اخبريني عن لابول».

زال تعب رينيه عندما بدأت احياء تجربتها، التي زادت في السحر وضاعت في الواقع منذ الصباح. ابما كان فقط نفياً قليلاً. لم تذكر مساومتها مع ليون حول بيير، لأنها كانت خجولة من ضعف عقلها.

«شاب وسيم، ليون هذا» علقت كريس: «أعتقد انه متزوج. الافضلون يكونون هكذا دائماً».

«ليس لدي أي دليل حول ذلك، لكنه شاب قليلاً لكي يتزوج. الرجال الفرنسيون يتزوجون متأخرين، لكن لديهم الكثير من الصديقات، وأنا واثقة بأن انطوانيت يجب ان تكون واحدة من صديقاته».

«تلك التي تشبهينها؟ هل استطعت اقناعه ليعرض عليك وظيفة في ذلك المجال؟».

«في الواقع، هو عرض» اعترفت رينيه مع لون مرتفع.

وضعت كريس كوب قهوتها بطرقة.

«تعنين ان تقولي بأنك رفضته؟ انت مجنونة، يا رين!».

«أنا لا أعتقد انني أستطيع القيام بذلك، وباري لن يوافق» رينيه لا تريد ان تخبرها عن قطعة الورقة التي كانت تحرق حفرة في محفظتها.

«سيكون خنزيراً لو وقف في طريقك حيال فرصة كهذه!».

«في الواقع، يا كريس، لغتك!».

«أنا لا أحمل ضغينة الى باري، كما تعلمين» ترددت كريس، محركة ملعقتها حول كوب فارغ: «انظري» بدأت: «أنا لا أحب حكاية قصص خارج المدرسة. . .» توقفت، محدقة الى النار.

«هل تعنين انه ذهب الى البيت لقضاء نهاية الاسبوع بدلاً من المجيء للقائي؟» اقترحت رينيه: «أنا بالاحرى اعتقدت انه ربما لم يستلم برقيتي؟ هل رأيته هذا الصباح قبل مجيئك؟».

بينما كانت في لو كروازيك مع ليون. . . ربما فقط منذ عدة ساعات؟ لقد بدا ذلك اكثر شبهاً بشهر.

«نعم» كانت كريس عابسة: «هناك عند هارد ينظر الى حملة دعاية للمحركات» توقفت، ثم نظرت مباشرة الى شقيقتها: «هو لم يكن وحيداً. سالي جيبسون كانت معه».

«سالي جيبسون؟» كانت رينيه مندهشة: «لكنها تعمل في مستشفى في لندن».

كل شخص في وودلي عرف سالي، بتنورتها القصيرة جداً والحد الاقصى من الماكياج. عائلة جيبسون تنفست الصعداء عندما اختيرت لتتدرب لتكون ممرضة.

«هي ربما أخذت اجازة، اليس كذلك؟ من الواضح ان اجازتها تصادفت مع نهاية اسبوع باري في البيت».

«انها يجب ان تكون مواجهة عادية» ألحت رينيه: «هو لا يوافق على سالي».

مدت كريس ساقيها الطويلتين في جينزها القذر: «انهم الرجال في كل مكان ـ لا يوافقون على اخلاق الفتاة، لكنهم يستفيدون من الفتاة اذا كانت سهلة».

«لا تكوني رخيصة!» ومضت رينيه اليها: «باري ليس كذلك، وأنا لا أحب اتهاماتك اليه».

«أنت يجب ان تعلمي» تعجبت كريس اذا كانت سعيدة أو نادمة لأن اعلانها قد حاز على هكذا ردة فعل. رينيه، عرفت، كانت مخلصة، لكنها فكرت ان اخلاصها قد يهتز اذا شاهدت باري وسالي معاً. لمواجهة عادية، هما ظهرا منهمكين جداً في بعضهما البعض. لا تريد من رينيه ان تعاني، لكنها دائماً حافظت على ان باري ليس الرجل المناسب لها.

«سالي تسعى وراء كل شخص تقابله» ألمحت.

«بالضبط، لكنها لن تسبب اي انطباع على باري».

قررت كريس ان لا تجادل حول الموضوع: «اعتقد انني اشعر بالنعاس بعد كل ذلك» اعلنت.

«من الافضل ان تأخذي السرير، وأنا سأنام على الاريكة» عرضت رينيه بسخاء، وعرت الديوان من مسانده لتعيده الى مهمته الليلية.

«اوه لا، هذا ليس عدلاً ـ بالاضافة الى ذلك، سيكون عليك ان تنزعجي بالشراشف النظيفة وما فوقها. اذا كان باستطاعتي ان آخذ تلك المساند، فسأكون على ما يرام، وأنا أصغر منك».

«أنا لست تماماً في خرفي!» قالت رينيه، ضاحكة، لكن في النهاية، حصلت كريس على طريقتها.

رقدت رينيه مستيقظة لفترة طويلة بعد ان ذهبت كريس لكي تنام في عشها من المساند. لقد كان اليوم طويلاً جداً وهي كانت مرهقة جداً. ايحاء كريس ازعجها اكثر مما اكترثت لتعترف. باري وسالي كانا اثنين غير محتملين كثيراً؛ توقعت منه ان يعطي الفتاة لبطة ان اقتربت منه. من الواضح انه لم يفعل هكذا، لكن كريس اعطت قبضتها لتدافع عن سلوكها الخاص اذا وبخها على عودتها المتأخرة، فكرت بكآبة.

من باري تشعبت افكارها الى ليون سبستيان. سيكون قد عاد الى باريس الآن، واستذكاره لها سيكون قد

تلاشى. لقد كان يؤمل ان يتلاشى تماماً ولا تعقيدات ستبرز حول تلك الورقة التي وقعتها بمجازفة، لأنه مهما حدث، قررت انها لا يحتمل ان تعود اليه.

مع ذلك عندما نامت اخيراً، لقد كان هو الذي لحق بها في احلامها. رأت ثانية نظرته المتحمسة في عينيه السوداوين عندما قبل يدها، وهو بدا ليكون متوسلاً لها كيلا تهجره. استيقظت على يوم جديد، متعجبة من احلامها المتنافرة.

اتصل بها باري في وقت متأخر ليلة الأحد وكان مشوشاً باعتذاراته. لقد كان عليه ان يذهب الى وودلي ليلة الجمعة لاجراء الترتيبات النهائية حول استئجار زورق بمحرك، وهكذا هو لم يستلم برقيتها حتى عودته. استعلم حول رحلتها، التي بكل وضوح لا تهمه، واعرب عن اعجابه بالزورق لبقية مكالمته. رغم ان الابحار كان حبه الاول، فهو فكر ان بإمكانهما ان يمرحا كثيراً مع سيريوس، كما كان يدعى الزورق. كان سريعاً جداً، وسهلاً للسيطرة عليه لدرجة ان رينيه حتى تستطيع الابحار به. رينيه لم تكن متحمسة حول ذلك؛ فهي ليست ذات عقل ميكانيكي وليس لديها طموح لتقود لا سيارة ولا زورق بمحرك. لم يذكر لقاءه مع سالي، وهما حددا موعداً للأمسية التالية.

كريستين غادرت بالقطار صباح الأحد، بعد وجبة

وصفتها بأنها دسة، حيث انهما نامتا متأخرتين. ولا واحدة منهما أشارت الى باري، ورينيه وعدت بالحضور الى البيت لنهاية اسبوع طويلة، اذا سمحت الارتباطات، بأسرع وقت ممكن، مع انها قد لا ترى كريس في الوقت الحاضر اذا تحققت مقابلتها.

يوم الاثنين، تلقت مخابرة من وكيلها حول بعض الاعلانات التلفزيونية، التي كانت انطلاقة جديدة لها. كانت لديها تجربة على الشاشة والمعلنون أحبوا صورها. المقابلة رتبت لها. ثم استدعيت الى مكاتب مجلة لايف لكي تقبض شيكها، الذي كان بمبلغ محترم، حيث اتخذ ليون الترتيبات بأنها يجب ان تقبض بالعملة الانكليزية عن طريق المجلة.

وجدت آفا تموء برضا حول مسودات الصور التي اخذت خلال رحلتها الى بريتون، التي قدمت لها على التو. بوضوح على مكتبها كانت واحدة من صور رينيه بثياب البحر بين الصخور.

«أنا افكر بالقيام بصورة خاصة عن ليون سبستيان وابتكاراته» اخبرتها آفا: «وأنا سأستعمل تلك الصورة له. انها ستكون لقطة جيدة له، اليس كذلك؟».

مررت الى رينيه صورة لرأس وكتف ليون، وعندما عيناها التقتا العينين المصورتين، ترنح قلبها. لقد كانت شبهاً جيداً جداً؛ كان يبتسم، مع حاجب واحد مرفوع،

مع ملامحه المألوفة النصف غامضة والنصف ساخرة. كان لديها اهتياج كثير لابقاء يديها ثابتتين عندما نظرت اليها.

«هو رجل صاعد وقادم» تابعت آفا: «وأنا لم اسمع عنه سوى الخير. متكرس للموضة، بالطبع، كما كان والده. في الواقع انا عرفت جاك سبستيان جيداً...» العينان القاسيتان لانتا وأدارت نظرتها باتجاه النافذة: «هما كانا شخصين ضروريين تماماً بعيداً عن عمل الازياء، هما كانا مالكي عقارات وما شابهها. انا التقيت جاك في باريس عندما كنت اساعد في تنظيم عرض ازياء دولي، وكان الرجال الاكثر سحراً. آه، باريس في الربيع!» وتنهدت.

نظرت رينيه اليها في دهشة؛ لقد كان من الصعب ادراك ان هذه المرأة العملية القوية يمكن ان تكون لديها مرة رقة نحو مصمم ازياء باريسي. ادارت آفا رأسها والتقطت نظرتها؛ ابتسمت بكآبة.

«أنا أيضاً كنت شابة مرة».

وضعت رينيه صورة ليون بعناية وغطتها مع دراسة للمرأة الفلاحة البريتانية العجوز.

«لو أن مسيو سبستيان كان نصف ساحر كابنه...» بدأت، وتوردت بغضب: «أنا أعني، ،لاجانب لديهم مثل هذه الأساليب الساحرة» انتهت بقصور.

عندئذ دخلت كارين مع مغلف، الذي ناولته الى رينيه.

«هذا الشيك هو لك» قالت آفا برشاقة: «أتوقع ان نطلبك ثانية قريباً، يا رينيه، فأنت قمت بعمل جيد في بريتاني».

كانت رينيه سعيدة لتعود الى الشارع، كانت خجولة من اضطرابها العاطفي الذي سببه المشهد غير المتوقع لوجه ليون: «أنا ضعيفة كمراهقة مجنونة» فكرت: «في المرة القادمة سأتوسل في طلب نسخة لكي أعلقها فوق سريري!» نوعاً ما يتوجب عليها ان تحارب هذا التسلط المضحك للفكرة والا فانها سوف تركض الى باريس لتطلب العمل الذي عرضه عليها.

الترياق كان باري.

التقته كما كان مرتباً عند محطة النفق وهما ذهبا الى مقهاهما المفضل. لقد كانت لديه حصته المعتادة من الفتيات ذوات الشعر بلون حشيشة البحر والشباب المخنثين، وبعد أمجادها في هيرميتاج فقد بدا رخيصاً وحقيراً: «كم يستطيع مذاق الرفاهية ان يغير من قيم المرء» فكرت: «لكن طالما ان المكان هو نظيف، فيجب ان اكون راضية».

وجد باري زاوية هادئة وجلب قهوتها: «لقد خاب أملي عندما لم تعودي» اخبرها معاتباً: «أنا كنت آمل ان

تتمكني من المجيء يوم السبت الماضي لرؤية الزورق سبريوس».

«لقد كان بالاحرى ارتباطاً هاماً» اخبرته، ملدوغة لحاجته الكاملة من الاهتمام بما كان قمة في مستقبلها، لكن عندئذ بالطبع، لا يريد ان يكون لديها مستقبل. لم تستطع مقاومة قول:

«ما هو رأي سالي به؟».

تورد بانزعاج: «سالي؟ أنا لست أدري ماذا تعنين».

«ألا تدري؟ لقد شوهدت وأنت تريها أمجاده. هل كنت تعلم انها كانت قادمة الى البيت لنهاية الاسبوع؟».

«أنا فهمت. . . شخص ما كان يتجسس، وأنا أراهن بأنها كانت شقيقتك. الطفلة المسكينة كانت تحاول الركوب الى البيت، وهكذا بالطبع أوصلتها. انه ليس آمناً للفتيات الصغيرات القيام بذلك النوع من الشيء».

«انه ليس آمناً» وافقت رينيه، هاضمة هذه المعلومات الاضافية: «مع انني أعتقد بأن سالي تستطيع الاهتمام بنفسها، وانت كنت تقول دائماً انك لست معجباً بها».

«اوه، هي مرح جيد في جرعات صغيرة» قال هوائياً: «غضي النظر عن هذا كله، يا رين، فأنت ابتعدت لأربعة أيام، وقضيت الكثير من الوقت في فنادق فخمة، ولذا أرى بأنه ليس لديك أي حق للشكوى اذا تحدثت عدة دقائق مع فتاة».

«يجب ان تكون قد استغرقت اكثر من عدة دقائق لايصالها الى البيت من المدينة» ألمحت رينيه، مع رؤية كريهة لسالي تتدلل في المقعد الامامي لسيارة باري، مقعدها الخاص، وتقوم بعرض ساقيها الشهيرين لمنفعته.

«أنا كنت أتمنى كثيراً لو كنت انت» قال بحيث ذابت.

«آسفة، يا باري، لكن بالطبع لم تكن لدي فكرة بأنك كنت تفكر بالذهاب الى البيت».

«ولا أنا حتى اتصل إليوت وطلب مني الذهاب لاجراء الترتيبات النهائية. أنت لن تبتعدي الى أي مكان ثانية، اليس كذلك؟ أنا فقط لا أستطيع الانتظار لكي أريك سيريوس».

«أنا سأترك نهاية الاسبوع القادمة حرة؛ أنا جنيت مبلغاً محترماً لذا أستطيع تحمل رفض عدة حجوزات، وأنا وعدت العائلة بالذهاب في أقرب وقت ممكن».

اتكأت على الكرسي القاسي، وحركت قهوتها بتفكير. كانت لا تزال فاترة الهمة من الجهود لذلك الاسبوع المضني. كان باري يحدق اليها بفضول. كانت ترتدي معطفاً اخضر مع حافة من الفراء البني حول العنق. وقبعة من الفراء البني. كانت شاحبة، وعيناها المظللتان كانتا انعم من المعتاد، وبشرتها بدت تتوهج

مع لمعان خافت؛ وبدت صغيرة جداً وسريعة العطب، وليست بتاتاً المرأة الشابة العارضة التي اعتادت ان تكون.

«انه مضحك، لكنك تبدين متغيرة، مختلفة نوعاً ما».

استعادت افكارها اليه بجهد.

«أوه، اخرج منها، يا باري، كيف يمكن ان اتغير خلال اسبوع؟».

كان مدركاً بصورة غير عادية، لكنه لم يستطع ان يشرح ما يعنيه. كان لديها شعور قلق بأنه كان على حق؛ هي قد تغيرت بمهارة.

«يجب ان يكون بعض السحر للمعيشة الفخمة قد مسح فوقي» اقترحت بخفة، مدركة تماماً ان التغيير، اذا كان هناك تغيير، فهو لم يكن شيئاً من ذلك النوع. بدا باري مذعوراً من اقتراحها.

«طالما انك لم تطوري المذاق له».

«أنا لن افعل ذلك، وافضل الاشياء الامينة البسيطة» (مثلك، أضافت لنفسها). هو كان هكذا شفافاً، كانت دائماً واثقة انها عرفت أين كانت معه، ليس مثل ليون، الذي كان غامضاً ـ لماذا يتوجب عليها دائماً ان تفكر بليون؟.

عمداً اتكأت عبر الطاولة الصغيرة ووضعت يدها على

ذراعه.

«هل يمكن ان نعلن خطوبتنا؟».

شعرت به يذهل: «أنت دائماً كنت ضد خطوبة طويلة». ذكّرها.

«لقد غيرت رأيي. انا سأشعر بمزيد من الامان اذا كنت أنتمي اليك».

أمان من ماذا؟ من ليون؟ لا تدري، لكنها تريد ان ترسي نفسها على حماية باري الصلبة ضد التيارات المنحرفة من الشعور التي بدت لتهدد دفاعاتها.

كان باري متأثراً. بدا صبيانياً وقابلاً للاستئناف، بعكس ذاتيتها المستقلة العادية، لكنه تردد.

«هل انت واثقة تماماً ان ذلك هو ما تريدين القيام به؟».

ابتسمت اليه بثقة: «واثقة تماماً».

كان باري قادراً على اطالة ساعة غدائه في اليوم التالي لكي يشتري لها خاتماً. هو بالاحرى افسد المناسبة لكونه قلقاً بوضوح بأنها يجب ان لا تختار اي شيء باهظ الثمن. ربما كان ذلك السبب، عندما دس نصف الاطار من الماس الصغير على يدها اليسرى، ولم تشعر بأي انفعال. مع ان ذلك كان رمزاً للاواصر بينهما، فقد كان، كل ما قيل وتم، فقط خاتم: افترضت انها كانت قديمة جداً وسفسطائية لتشعر

بالفرحة العارمة. بعد كل ذلك، فخطوبتهما كانت نتيجة سابقة لفترة طويلة.

وحيدة في غرفتها، حركت يدها جيئة وذهاباً تحت الضوء، مراقبة الحجارة تشتعل.

«ذلك يسوّي فرمك، ليون سبستيان» كانت تفكر: «أنا لا أستطيع المجيء الى باريس الآن، حتى اذا تذكرت بأن ترسل في طلبي، الذي أنا واثقة بأنك لن تفعل».

لقد كان عليها ان تكبت غصة، التي عرفت بهلع انها كانت غصة من الندم.

في صبيحة يوم الاربعاء، اتصلت والدتها. لقد حصلت كريستين على مقابلتها، واذا رينيه تستطيع، فهي سوف تلتقيها لاحقاً على الغداء.

رينيه استطاعت، وكانت مندهشة للتحول في مظهر شقيقتها. الشعر الاصفر المتوحش كان مجدولاً بأناقة حول رأسها، وارتدت طقماً مشذباً، وان تكن التنورة مختصرة لمجرد الشكليات.

«الرجل العجوز الذي قابلني اقترح بأنها يجب ان تكون اطول قليلاً» قالت كريس، مادة ساقين طويلتين لامعتين في جوارب نايلون تحت طاولة المقهى، التي وضعت عليها وجبتهما: «لذا اعتقد بأنني يجب ان أطيلها الى اسفل، ربما بوصة واحدة. استنكاره لم

يمنعه من القاء نظرة جيدة على كل ذلك» اضافت بانشراح: «ربما سيعتاد على وجود سيقان بمرور الوقت. يجب ان يرى الكثير في الشارع».

لاحظت خاتم رينيه عندما شقيقتها خلعت قفازيها.

«باري، على ما اعتقد؟» قالت باحتقار.

أطرقت رينيه برأسها: «سنعود الى البيت لنهاية الاسبوع. أنا سأخبر الوالدة عندئذ».

تنهدت كريس: «أوه حسناً، هناك العديد من الهفوات... آسفة، يا رين، لكنه عادي تماماً».

«وندلك أنا» ألمحت رينيه: «انهم الاشخاص العاديون هم الاشخاص السعداء، يا كريس».

بدت كريس ثائرة، لكنها لم تتفوه بالمزيد.

ذهبت رينيه مع شقيقتها لتراها تنطلق، وبجانب كشك كتب المحطة هما رحبتا بظهور كوميدي لشبح. ارتدى جينز متسخ وقميص قوس قزح، وشجيرة من شعر أسود غير مرتب ولحية عمرها اسبوع.

اطلقت كريس صرخة من البهجة.

«اذا لم يكن هو تروغ العجوز! يا رينيه، قابلي تروغ.. اوه، ذلك في الواقع ليس اسمه، نحن نسميه هكذا لأنه يبدو مثل تروغلودايت. هو يرسم».

ابتسم الشبح، ابتسامة ساحرة تماماً، حيث على الاقل كانت أسنانه نظيفة وبيضاء، وقال بصوت مثقف

مفرح.

«كيف حالك. انا سمعت الكثير عن شقيقة كريس المدهشة. انت عارضة ازياء، اليس كذلك؟».

«أنا لست مدهشة بتاتاً، في الواقع» قالت: «وأنا لست نوعك من عارضة أزياء».

«أنا اعرف ذلك؛ الامر سيان فأنا احب ان أرسمك».

«هيا» تدخلت كريس: «والا فلن احصل على مقعد في القطار. هل انت قادم على طريقي، يا تروغ؟» بدأ يهبط عن الرصيف: «اوه، لقد نسيت ان اخبرك، انا حصلت على الوظيفة» صرخت فوق كتفها الى تروغ، الذي كان يتعثر خلفها.

«اذن انت ستأتين الى المدينة!».

رينيه لحقت بهما حتى وجدت كريس المقعد الذي تخيلته، ووضعت نفسها في القطار. تروغ لحق بها؛ يبدو انه أيضاً كان ذاهباً الى وودلي.

«يأتي ليرسم، ذلك كيف التقينا» شرحت كريس، متدلية خارج نافذة عربتها: «لكنه يعيش في لندن، وعندما اصل الى هناك. اوه، ايها الشاب، نحن سنرسم اللون القرمزي البراق للمدينة!».

من خلفها، كان تروغ ينظر بانزعاج الى رينيه: «اوه، في الواقع، يا كريس» قال.

ابتسمت: «أنا اعرف شقيقتي، فهي لا تعني نصف ما

تقول».

نفخ الحارس صفارته، والقطار بدأ يتحرك: «أراك يوم السبت!» صرخت كريس، وما زالت متدلية خارج النافذة، والقطار انزلق مبتعداً.

أقلها باري الى وودلي صبيحة يوم السبت التالي، يوم مشرق من آذار مع ريح باردة تهب. كان الشهر على وشك الانتهاء، لكن الربيع جاء متأخراً، والاشجار كانت فقط خضراء قليلاً، مع انه في الحدائق التي مرا بها، الزعفران وأزهار الثلج أفسحت في المكان الى النرجس والتوليب المبكر. وعدت باري بأنها لن تسافر الى الخارج ثانية، مع انها بعد لم تجد المهنة البديلة لعرض الازياء. حصلت على تعاقد لاعلانات التلفزيون، التي كانت لنوع جديد من الصابون للتواليت. الشركة المهتمة كانت متشوقة لضمان خدماتها الحصرية لمسيرة حملتها الاعلانية، التي ستظهر فيها مثل: «فتاة زهرة الدراق» كان المنتوج يدعى: «صابون زهرة الدراق» باري لم يثر اي اعتراض. في الواقع كان يتطلع الى رؤيتها على شاشة التلفزيون. ستبدو جميلة وأصدقاؤه سيعرفون انها فتاته، لكنه لن يعترف بذلك الى العالم. بدلاً من ذلك زمجر على الدعاية التي ستكسبها.

وصلا في موعد الغداء، الذي دعي اليه باري،

ورينيه أظهرت خاتمها لوالدتها. السيدة زوان قبلتها بشغف.

«أرجو ان تكوني سعيدة جداً» عندئذ في صوت منخفض: «باري هو شاب مستقيم، وسيكون زوجاً صالحاً لك».

«أنا أعلم» ضغطت رينيه على يد والدتها.

في فترة بعد الظهر كان عليهما ان يجرب الزورق بمحرك. متأثرة بالشوق في عيني مايك، توسلت رينيه لضمه في هذه النزهة، وكريس تغلبت على بغضها لباري في رغبة منها لتجربة جديدة، وهكذا في [illegible] ذهب كل الاربعة، وكريس قبلت على أساس ان ترعى مايك في الكابين الصغير، لكن في النهاية كانت رينيه التي جلست هناك مع نصف شقيقها، بينما كريس، شعرها يتطاير مع الريح، وقفت على المتن، تبدو اشبه بفالكيري يسرع الى ارض المعركة. تسابقوا نزولاً على الطول الملتوي لمصب النهر، وتحولوا في دورة عندما وصلوا الى البحر المكشوف وتسابقوا عائدين ثانية.

«ذلك كان شيئاً ما، اليس كذلك؟» تحمست كريس عندما ارسوا سيريوس. مايك، كابن بحار، كان ايضاً مبتهجاً، وقلقاً ليعرف متى سيكبر ليصبح قادراً على السيطرة. فقط رينيه اختبرت غثياناً قليلاً، الذي عرفت انها يجب ان تتغلب عليه، عندما بدا واضحاً ان باري

ينوي قضاء كل وقت فراغه في اللنش.

«أنا سأستمتع به اكثر عندما يصبح الطقس اكثر دفئاً» فكرت: «وربما نحن لا نحتاج دائماً للذهاب بهذه السرعة التي تكسر الاعناق».

عادا الى المدينة ليلة الاحد، وفي صبيحة يوم الاثنين سقطت القنبلة ـ في شكل مغلف مانيلا كبير مغطى بطوابع فرنسية، الذي بداخله كانت نماذج لها لملئها، وطلب لحوالي ستة صور بروفيل من مكتب الاجانب، ورسالة مطبوعة من صالون سبستيان، مع توقيع مشفّر، الذي قد يكون أو لا يكون توقيع ليون، يقول انهم يتوقعون رؤيتها خلال شهر نيسان.

حدقت رينيه الى الاوراق مشدوهة؛ وكانت دموية المزاج جداً في تخيل ان حماقتها لن تمسك بها. ليون كان يعني ان يمسكها لوعدها، والتهب وجهها عندما تذكرت انها اعطته كلمتها «كامرأة انكليزية»، حيث لا يكون هناك مفر من الحفاظ عليها. بيأس حاولت ان تفكر، وان تجمع شتات افكارها. منذ الافتراق عن ليون هي اصبحت مرتبطة لباري، لذا يجب عليه ان يدرك انها لم تعد حرة في اتخاذ قراراتها. باري سيخبرها بما يتوجب عليها عمله وفيما اذا كان بالامكان ان تحاكم للاخلال بالعقد. لا تصدق ان ليون سيذهب الى هذا الحد ليأخذها الى المحكمة، لكنها لا تحب ان

تخلف وعدها. يجب ان يكون قد تحمل قسطاً كبيراً من الانزعاج للحصول على النماذج الضرورية، لكن ذلك لا يمكن تحمله، ولاؤها الاول كان لباري. ادركت بتعاسة انها سيكون عليها ان تخبره ما جرى بينها وبين ليون، وانه سيخبرها بأنها كانت بلهاء كاملة.

اتصلت به في مكتبه، وهذه كانت بداية سيئة، حيث انه لا يحب استلام مخابرات خاصة وقت العمل. اخبرته بأنها يجب ان تراه في اسرع وقت ممكن. باكراه وافق على الحضور بعد المدرسة الليلية، حيث انه لا يحب الحضور الى غرفتها في وقت متأخر من المساء، خوفاً من كلام الناس. من الذي سيتكلم لا تستطيع ان تخيل، حيث ان مالكة المنزل كانت لا مبالية حول القادمين والخارجين من زوار مستأجريها، لكن باري لا يصدق ذلك.

جعلت الغرفة انيقة قدر الامكان، وسحبت الاريكة قرب المدفأة الكهربائية، حيث لا يزال الطقس بارداً في الليل، ووضعت ازهاراً جديدة على طاولة جانبية، ووضعت تحضيرات لاعداد القهوة. ارتدت احد اكثر ثيابها اناقة، نموذج في اخضر قاتم، بسيط جداً، لكنه جميل التفصيل، الذي حصلت عليه رخيصاً بعد عرضه لاحدى دور الازياء. مكيجت وجهها بعناية بالحد الادنى من الماكياج، عالمة ان باري يكره ليكون

ظاهراً.

وصل بالضبط عند الساعة العاشرة، ورفض القهوة، ونظر بارتياب الى مظهرها الانيق، وانزوى الى الاريكة وقال:

«ما هو كل هذا لكي تسحبينني عبر نصف لندن في هذه الساعة؟».

ركعت على السجادة عند قدميه، ووضعت يداً متوسلة على ركبته.

«يا باري، انا في ورطة. انا كنت اكثر من بويضة حشرة وأرجو ان تخبرني ماذا افعل».

«حزن جيد، يا رين، بالله عليك ما وراءك؟».

اخبرته، ولم تخف شيئاً، بينما وجهها ازداد سواداً. أوراق باريس وضعت على الطاولة بجانبه وهي وضعت نسختها من الاتفاق الموقع فوقها. عند نهاية روايتها، التقطهم ونظر اليهم.

«الماذا لم تخبريني بكل هذا من قبل؟».

«أنا كنت واثقة انه لا يعني ذلك، وانا لم اكن اريد ان اعترف بأنني كنت هكذا بلهاء».

القى الاوراق ونظر اليها، عيناه الزرقاوان قاسيتان كالحجارة.

«انت اسوأ من بلهاء، فأنت مخدوعة. يجب انه كان هناك الكثير بينك وبين هذا الشاب ليذهب الى مثل هذا

الازعاج على حسابك. انت لم تكوني مانيكان».

«أنا اعلم... انا... انا اخبرته... يا باري، لم يكن هناك اي شيء بيننا، لكنه مجنون تماماً».

أمسكها باري من كتفيها وهزها.

«الآن انا افهم لماذا عدت مع نجوم في عينيك» قال من بين اسنانه: «انت وقعت في حب هذا الذئب الفرنسي... تلك هي الحقيقة، أليس كذلك؟ أليس كذلك؟».

التهبت من التورد: «لا! كيف يمكنني ان اقع في حب رجل في عدة ايام؟».

«لقد كان معروفاً ان ذلك سيحدث على الاقل» قال، وانزل يديه: «الم تسمعي بروميو وجوليت؟».

«لم يكونا شخصين حقيقيين، هما كانا في مسرحية. يا باري، انا لا احب ليون سبستيان، انا... انا حتى لست معجبة به».

«لكنك وقعت هذه الورقة؟».

قام بإيماءة من الضجر: «يجب ان يكون لديك المزيد من الاحترام للقانون والنظام. ذلك هو أتفه عذر سمعته!».

دائماً ارتابت بأنه لن يقدر مشاعرها حيال بيير. جربت طريقة اخرى.

«أنا لا اريد الذهاب الى باريس».

«هراء، انت دائماً اردت الذهاب الى باريس. انا فقط لا أستطيع ان افهمك، يا رين» وقف على قدميه وبدأ يزرع الغرفة: «الشيء كله بعيد عن الشخصية. لقد اعتقدت دائماً انك كنت هكذا عاقلة، هكذا مستوية الرأس، لكن النساء دائماً يذهبن خارج الطرف العميق عندما تكون عواطفهن متورطة».

«الأمر يختلف عندما اكون مخطوبة. لا يستطيع ان يتوقع مني ان اذهب الآن» قالت، متلاعبة بأوراقها للترومب.

توقف باري، فمه موضوع في خط متوحش.

«انني لأعجب لماذا غيرت رأيك» قال: «لكنني معك الآن» استدار اليها متهماً: «انت فكرت بأنك واثقة من خط تراجعك. انت تخيلت انني سأكون بانتظارك عندما هذا الكازانوفا الفرنسي يوقعك في حبائله؟ هل انت في الواقع تصدقين انني سوف افهم ذلك؟».

شعرت كأنه ضربها، فشحب وجهها.

«اوه» شهقت: «اي شيء رهيب هذا الذي تقوله! لكنه غير صحيح، يا باري، انت تعلم انه غير صحيح».

خيم الصمت بينهما بحيث استطاعا فيه ان يسمعا تكتكة الساعة على الموقد والضجة البعيدة لحركة السير غير المنقطعة في لندن.

تمالكت رينيه نفسها وقامت بتوسل واحد.

«أنا تصرفت ببلاهة» اعترفت: «كل الاثارة ذهبت الى رأسي، لكن ذلك هو كل ما كنت، يا باري، بأمانة، وأنا واثقة اننا نستطيع الالتفاف حول هذه نوعاً ما» التقطت الاتفاق: «أنا سأخبر ليون كيف تشعر و....».

«ليون؟» اعترض.

«أنا اعني، مسيو سبستيان» لكن الضرر قد وقع.

«أنا لن احفظك بعيدة عن ليونك» اخبرها بغضب: «أو اوقفك عن الذهاب الى باريسك الغالية، لكن هذه هي النهاية بينك وبيني!» التقط قبعته وسار الى الباب.

«باري!» صرخت بيأس.

«وداعاً، يا رين» قال بحزم، وصفع الباب خلفه.

بعد بعض التفكير الصعب، جلست رينيه وكتبت الى صالون سبستيان تشرح ان ظروفها قد تغيرت؛ هي على وشك الزواج ولا تستطيع القيام بالارتباط المقدم لها، وستعيد الاوراق خلال بضعة ايام. وضعت الطوابع الضرورية وركضت لتضع الرسالة في صندوق البريد، البعيد قليلاً. لو لم تكن الاوراق ذات حجم كبير لكانت ارسلتها مع الرسالة. عند عودتها وضعت الاوراق في جارور، لحين زيارة مكتب البريد. شعرت بالارتياح؛ بعد كل ذلك المشكلة حلت بسهولة؛ ربما لم تكن بحاجة لاعلام باري عنها، لكنها كانت سعيدة لأنها فعلت. يجب ان لا تكون هناك اسرار بينهما، ويجب

ان لا يدعوها ثانية بالمخادعة. لقد كان ممكناً، بالطبع، ان يحاول ليون خلق مشكلة، لكنها لا تعتقد بأنه سيفعل. باري، عندما يستعيد طبعه، سيتصالح عندما تخبره بما فعلت، وستؤكد انها رفضت فرصة ممتازة لأجله؛ وذلك يجب ان يستأنف لكبريائه. عالجت الوضع بشكل سيء للغاية، لكنها كانت متألمة تماماً من اتهاماته لها بأنها تحب ليون. ذلك الرجل لديه تأثير غريب عليها لا تستطيع انكاره، لكنه لم يكن حباً، انه لا يمكن ان يكون حباً، وعلى أي حال، تأملت باخلاص ان لا تسمع عنه. أمضت الصباح التالي في ستوديو التلفزيون والنهار مر بدون كلمة او اشارة توبة من باري. وهكذا كتبت له، تخبره بأنها رفضت وظيفة باريس، ومتى ستراه ثانية.

بعد يومين، وهي ما زالت بدون كلمة او مخابرة منه، جاءت برقية من ليون. تقول:

«مدموازيل ثورنتون انا لم افكر بأن تكوني مخادعة». الاتهام آلمها.

المغلف الضخم من الاوراق ما زال راقداً في جارورها؛ بكل بساطة يجب ان تقوم برحلة الى مكتب البريد لتعيده. ذلك سيكون جوابها على برقية ليون.

افتقدت باري كثيراً. يجب ان يكون قد استلم رسالتها ومع ذلك لم يعط اشارة. عندما يبرد غضبه،

يجب ان يدرك انه بعد كل تلك السنين التي عرفته فيها، كانت عاجزة عن توقيته مرتين. قررت ان تذهب وتراه.

عرفت الليالي التي يذهب فيها الى الكلية، وذلك المساء لم يكن واحداً منها. أخذت مترو النفق الى الضاحية الشمالية حيث استأجر مع عائلة محترمة التي جعلته مرتاحاً جداً. كانوا سعداء بوجود مثل هذا الشاب المستقيم الجميل كمستأجر. كان الغسق قد هبط عندما انعطفت الى الطريق حيث يقع المنزل. كان هناك مصباح شارع خارجه. لقد كان واحداً من صف مباني حديثة وفي مقدمته كانت سيارة باري. خائفة من ان يكون قد خرج، وستفتقده، سارعت في خطوتها، ثم توقفت حالاً. كانت هناك فتاة جالسة في السيارة، بينما باري عاد الى المنزل. بضجر متزايد، دفعت باب السيارة وفتحته ووقفت على الرصيف، ورينيه التقطت الوميض لساقين حريرتين طويلتين، تحت كشكش تنورة. الفتاة مدت نفسها وتثاءبت، والضوء سقط على ماكياج ثقيل وشعر اسود منفوش. لقد كانت سالي جيبسون.

خرج باري مسرعاً من المنزل ورينيه سمعت صوته المرتعش:

«عزيزتي، لقد انتظرتني طويلاً».

عندئذ سالي طوقت عنقه بذراعيها، وذهبا في

تماسك شديد. تراجعت رينيه الى مدخل منزل آخر، آملة ان لا تشاهد؛ الظل لسياج كثيف اخفاها. الاثنان انفصلا، وباري ساعدها للدخول الى السيارة، وبدا سعيداً ومتملكاً. عندئذ صعد الى مقعد السائق، والسيارة انطلقت، تاركة الطريق شاغراً.

خرجت رينيه من مخبئها تفرك عينيها. شعرت بالألم والاذلال. اذن كان مستمراً مع سالي طول الوقت، وعاد اليها عندما تخاصما! الرجال كلهم سواسية، عاجزون عن الاخلاص؛ حتى باري لم يكن مختلفاً عن والدها. هي خدعت ثانية. كانت تأمل في ان يساعدها في مشكلتها، وانها مهما كانت حمقاء، سيقف بجانبها ويساعدها، بدلاً من ان يخذلها، ويجعل حماقتها عذراً لكي تعود الى ذبابة الليل الصغيرة، التي كانت «مرحاً جيداً».

انه لم يخطر ببالها ان سلوك باري سيسرع بالحاجة الى انقاذ كبريائها من الغرق بعد اكتشاف تفضيلها المفترض الى ليون. ولا كان ذلك محتملاً، لو انها اخذت ذلك في الاعتبار، ان الاتحاد سيدوم بعد عدة لقاءات. ما اصابها كضربة كان الاحتمال بأن آخرين بالاضافة الى كريستين قد شاهدوا باري يتجول مع سالي. لكن الآن كل القيل والقال في وودلي سيكون همساً بأن باري هولمز قد رمى رينيه ثورنتون من اجل

فتاة جيبسون. ذلك كان اذلالاً شعرت بأنها لا تستطيع مواجهته.

اقتفت آثار خطواتها عائدة الى النفق واخذت تذكرة الى مكان عرفت ان فيه خدمة بريدية طول الليل. ما زالت تلطف من حنقها، ابرقت الى سبستيان بأنها ستكون في باريس في منتصف شهر نيسان.

«هذا يسوي ذاك!» فكرت مع بعض الرضا.

لكن عندما استيقظت في الصباح، برد غضبها. رعشة باردة سرت في اوصالها عندما ادركت ما فعلته. الآن ليس هناك تراجع. مرتبطة بالذهاب الى باريس، الى حياة جديدة بالاحرى مخيفة بين غرباء تماماً. عيناها سقطتا على خاتم الخطوبة، وخلعته. كل شيء قد انتهى. نظرت اليه يشع على طاولة زينتها. يجب ان تعيده الى باري.

عندئذ فكرة جديدة خطرت لها، التقطته ودسته ثانية على اصبعها. ما لم يطلب باري استرجاعه، ستواصل ارتداءه، كضمان ضد... ماذا؟ مكائد ليون سبستيان؟ لن يكون لديه تأثير عليها الآن، فهي نالت نصيبها من الرجال، فهم جميعاً كانوا غير جديرين بالثقة، لكن الامر سيان، ستكره ان يشتبه ليون بأنها قد انفصلت عن باري بسببه.

الفصل الرابع
الحب الحقيقي

لقد كان يوماً من أيام شهر نيسان المشرقة والممطرة عندما سافرت رينيه الى فرنسا؛ وصولها، بعد وابل غزير من المطر، حياه انفجار لشمس مشرقة، اعتبرت هذا فألاً حسناً. باص المطار وضعها عند الطرف النهائي وانضمت الى الطابور بانتظار سيارة اجرة - نوع من التبذير، لكن انتظار المترو يعني يوماً آخر عندما لا تكون محملة بالامتعة. اخذتها سيارة الاجرة عبر شوارع خلفية في سلوك لتجنب زحمة السير. التقطت لمحة من

برج ايفل وهما عبرا السين بواسطة جسر لا يستحق المشاهدة. سمعت ان باريس وصفت بمدينة الاشجار، وبدأت تدرك ان الوصف خليق بها. كانت هناك اشجار في كل مكان، ليس فقط على جوانب البولفارات والجادات، بل في كل زاوية غريبة؛ وعلمت في وقت لاحق انه عندما تموت الاشجار تستبدل في الحال بغيرها. في ذلك الوقت من السنة كانت في اجمل حالاتها، مرتدية اوراقاً خضراء ناعمة.

اعطيت حسابات غامضة لحركة السير في باريس، ووجدت انه لم يكن مبالغاً فيها. كان سائقها يدخل ويخرج من ارتال السيارات بما بدا لها مجازفة مخيفة، لكن بمعجزة، كان دائماً يتمكن من تجنب الصدام، وكانت قادرة على الاسترخاء قليلاً مع شعور مريح بأنه عرف ما هي بصدده.

البنسيون حيث كانت ملزمة يقع في شارع من المنازل القديمة الطراز، طويلة وكئيبة، ينتظر بولدوزرات الازالة التي خضعت اليها معظم منازل الجوار القديمة، مفسحة في المجال الى بلوكات كبيرة من الشقق الحديثة التي شيدت في مواقعها. توقفت سيارة الاجرة عند الرقم ١٤، الذي كان بنسيون دوبونيه. خرجت رينيه، وبحثت بعصبية في محفظتها، ومحاولة تشفير ارقام العداد. رجل عجوز في سروال ازرق صعد الدرجات؛ عرفت

لاحقاً انه كان هنري العجوز، الذي مع زوجته احتلا الطابق الارضي في اتساع مزدوج للاستعلامات. نظر الى العداد والتفت الى رينيه، وذكر المبلغ الذي يجب ان تدفعه. ناولته الى السائق مع بقشيش سخي، بينما هنري حمل حقائبها. عندئذ خرجت مدام دوبونيه لتحيتها. كانت امرأة بدينة، ترتدي الاسود الذي لا مفر منه، لكن العينين في وجهها المستدير كانتا ثاقبتين ونفاذتين. قلة هن اللواتي يستطعن مساومة المدام. لراحة رينيه الكبرى، تتحدث بالانكليزية، وان يكن بلهجة قوية.

«أهلاً وسهلاً، مدموازيل ثورنتون، ارجو ان تكوني سعيدة جداً معنا».

«أنا واثقة بأنني سأكون» قالت رينيه، مع شك داخلي عندما لحقت مضيفتها الى الداخل. القاعة الرديئة الانارة مع ارضيتها اللينولين الخضراء الشاحبة والطلاء القاتم لم تكن خلابة.

وجدت بقية المنزل لم تكن بمقاييس انكليزية مريحة جداً. كانت غرفتها صغيرة، والسرير أقسى مما ترغب؛ المياه الجارية كانت مؤمنة، لكنها تبينت لتكون مزاجية؛ احياناً تكون تغلي، واكثر الاحيان فاترة وكانت هناك اوقات عندما تفيض تصبح شحيحة فقط. تستطيع ان تأخذ حماماً بمبلغ اضافي مفرط.

صالة الطعام كانت موضوعة مع طاولات منفصلة، وقد خصصت واحدة لنفسها. غرفة الجلوس لها فقط كراسي صلبة مستقيمة، مع انها تفتخر بجهاز تلفزيون. كانت المدام بخيلة بالنور الكهربائي، تستعمل فقط لمبات ضعيفة، وهكذا بعد الظلام يبدو المنزل قاتماً بصورة دائمة. ضد هذه السيئات، كان المكان نظيفاً، بسعر معقول، وكان المطبخ ممتازاً.

بمرور الوقت قدمت الى زميلاتها النزيلات فوجدتهن مجموعة كئيبة نوعاً ما. كان هناك رجل كبير هادىء، لا يعير انتباهاً لأي شيء عدا طعامه وصحفه؛ اخبرتها المدام انه يحتل مركزاً هاماً في وزارة التعليم والمنزل يتشرف بوجوده، وأيضاً هو لديه عشيقة جميلة في شقة على الضفة اليسرى، حيث يقضي معظم امسياته. وكانت هناك مدام هوغون، التي ارتابت رينيه بأنها لم تكن مدام بتاتاً، بل واحدة من أولئك العوانس الكبيرات الحزينات غير المرغوبة لاقربائها، مع فقط وسيلة كافية لتقضي وجوداً مملاً في نزل. شفقة على الروح المسكينة، حاولت رينيه اكثر من مرة التحدث اليها، لكنها وجدت اللغة عائقاً لا يمكن عبوره؛ ولا المرأة بدت مرحبة بتقدماتها، مفضلة اياها بنظرة استهجان؛ وبدت بأنها ليس لديها رأي رفيع بعارضات الموضة.

اكتملت سلسلة النزيلات بعائلة رينو، التي كانت

اتصالات بعيدة بمدام دوبونيه. الزوجة كانت امرأة عادية رفيعة، التي ارتدت ثيابها البسيطة، عادة زياً اسود، بشياكة. المسيو نادراً ما يشاهد؛ لديه عمل يشغله، بينما زوجته تعمل ايضاً فترة جزئية في محل للقبعات. كان هناك طفلان، فتاة في السادسة وطفل في الخامسة. الفتاة، كوليت، كانت باريسية على مصغر. تشاكس حول شعرها وثيابها، وهي كانت جميلة وقد عرفت ذلك. شقيقها غاي بدا دائماً عند الطرف المحلول، يتجول حول المنزل ويتدخل في طريق كل شخص. كانا يحضران المدرسة خلال النهار، ولدهشة رينيه كانا دائماً يتناولان العشاء مع ابويهما، ويبقيان حتى ساعة متأخرة، يلعبان ألعاباً من الورق لا تنتهي.

حاولت المدام التحدث الى رينيه، لكنها لا تعرف الانكليزية وكانت عاجزة عن تشفير فرنسية الفتاة، فهزت كتفيها وتراجعت. حذرتها مدام دوبونيه بأن جين هاوية مدمنة للثياب، وعلمت ان رينيه تعمل لدار للأزياء، كانت وراء العارضات المنبوذات بأسعار مخفضة. الطفلان وجدا فرنسية رينيه مضحكة، وعندما حاولت في الامسية الاولى الانضمام الى لعبتهما بالورق، هما انقبضا من اغلاطها، وفرحا لأنها كانت مستعدة لتلاحظهما. احبت صحبتهما اكثر من صحبة ابويهما.

لكن البنسيون ونزلائه تلاشوا الى تفاهة عندما حان موعد مواجهة معضلة تقديم نفسها الى صالون سبستيان. سافرت من باسي بالمترو، بعد تلقي التعليمات من مدام دوبونيه حول كيفية الوصول الى مكانها المقصود. ورغم انها ذهبت بالدرجة الاولى، فإنه كان لا يزال مزدحماً بشكل كريه وذكرى ساعة الزحمة في لندن.

وصلت رينيه الى المبنى مع قلبها يخفق سريعاً بانزعاج، لكنها لن تعترف، حتى لنفسها، انها كانت فكرة رؤية ليون ثانية هي التي كانت تزعجها.

البواب الضخم أساء فهم طلبها المسموع لرؤية مسيو سبستيان؛ اعتقد انها كانت زبونة. بجانبه، لاحظت مراسلاً وقح الشكل في زي ازرق سماوي انيق مع صفوف من الازرار الفضية. كان هناك شيء ما مألوف حول عينيه، ونظر اليها بخجل. مع صدمة خفيفة، ادركت انه يجب ان يكون بيير، لكن بيير ممتلىء بالطعام الجيد والخدين الورديين. كان هناك اثر ضئيل من الجوع أشفقت عليه في لابول قبل عدة أسابيع. بناء على كلمة من رئيسه، هو قفز صاعداً السلم أمامها، وأدخلها الى الصالون. الغرفة الفسيحة العالية السقف، مع نوافذها الطويلة المطلة على الشارع، كانت مزخرفة بالرمادي والابيض. ستائر شانيل رمادية معلقة عند

النوافذ وعبر الجدار الى طرف واحد، حيث ثلاث درجات تؤدي الى مدخل العارضات. كانت الكراسي مذهبة ومن السقف تتدلى ثريا كريستال. ادركت أي تركيب كامل سيكون التلوين المحايد لابتكارات ليون الجميلة. اختفى بيير، وعندئذ لاحظت على جدار صورة كبيرة ملونة. لم تكن بحاجة الى الاسم تحتها ليخبرها لمن تكون. الفستان الذي ارتدته كان عظيماً، وكان مصمماً لاميرة شرقية، وعظمته زادت الشخصية الآسرة لمرتديته. لها شعر بلون العسل، متراكم على قمة رأسها الصغير، ووجهها كان بيضاوياً كاملاً، لكن هناك اي شبه لرينيه قد انقطع. حتى في الصورة، وقفتها وأناقتها كانتا واضحتين، تعبران عن القوام الذي يشرح الصدر لرأسها والنظرة المتغطرسة للعينين السوداوين الطويلتين - عينا انطوانيت الخضراوتين. هبط قلبها عندما استوعبت تفاصيل الصورة؛ اذا تخيل ليون بأنه قد وجد خليفة انطوانيت، فقد كان متفائلاً. كانت مليئة بشعور متزايد من الاستياء. لماذا لا يستطيع ان يدع انطوانيت تكون منسية بدلاً من محاولة ايجادها ثانية في شخصها هي؟ على احسن تقدير هو يستطيع فقط ان يأمل بأن تكون شبحاً باهتاً من ذلك الجمال الملوكي، وقد كان جوراً بأن يتوقعها لكي تتنافس مع اسطورة. مهما تكن انطوانيت، فشهرتها قد خلدت بوفاتها

المأساوية، وأولئك الذين يستذكرونها سيتذكرون انها كانت فريدة في نوعها.

اضطربت أفكارها بوصول مدام لامارتين، التي بدت مرتبكة لتجدها هناك. فهمت ان مسيو سبستيان كان مسافراً، ولا تدري اذا كانت مرتاحة أم خاب أملها. بدت المرأة الفرنسية في ضياع لا تدري ماذا تفعل معها. ارسلتها الى غرفة التغيير، حيث نصف دستة من الفتيات كن قد تجمعن حول مدفأة، يتحدثن ويضحكن. كن مانيكانات الدار اللواتي مهمتهن كانت عرض فستان لأية زبونة تدخل تريد رؤية ثوب معروضاً، وكن بعض الفتيات الاجمل والاكثر أناقة في باريس. بينهن عرفت سيليستي، التي حدقت اليها بغطرسة، عندما غامرت بابتسامة اختبارية. كلهن حدقن اليها بانتقاد، ثم عدن الى ثرثرتهن بفرنسية سريعة، التي لم تستطع ان تفهم منها كلمة واحدة، متجاهلات لها عمداً.

تذكرت رينيه بانزعاج ان عرض الازياء كان مهنة بالغة الازدحام، خاصة في فرنسا، وقدرت ان الفتيات الفرنسيات قد استأن من ارتباطها. جلسة بائسة على مقعد، تتعجب ماذا تفعل مع نفسها، بينما الفتيات ادرن لها ظهورهن. شعرت بأنها كانت بلهاء لمجيئها. اخيراً هي استطاعت ان تجد مدام لامارتين لتعلمها انها ستكون في البنسيون عند عودة مسيو سبستيان.

لقد كان ذنباً لا يغتفر للمدام لتخبر ليون بعودتها، ولا تستطيع ان تتخيل ماذا كانت تأمل ان تجني من وراء ذلك، لكنها لا تستطيع ان تتحمل الخصام معها، فهي بحاجة الى سرير لقضاء الليل.

كانت سيارة ليون متوقفة في الخارج، وفي السيارة قام ببعض الملاحظات التقليدية عن الطقس، والسائحين، والاحداث السياسية، التي اجابت عليها بمقاطع فردية. جلست بجانبه مع يديها متشابكتين في حضنها، ممزقة بين مشاعر الخصام، والفرح لتكون معه ثانية، والألم لبرودته.

دخلا الى باريس، لكنه لم يتوقف عند فوبورغ سان هونوريه.

«مسيو، الى اين تأخذني؟» سألت.

«الى شقتي. الصالون أغلق بالأمس».

لا ارادياً صرخت: «أوه، ارجوك ليس هناك!».

«لماذا لا؟ هل تعتقدين ان ذلك ليس لائقاً؟ لا تكوني هكذا فيكتورية، يا عزيزتي. انا اعدك بأنني لن افعل شيئاً يستهجنه مسيو باري الصالح».

كانت هناك نغمة ساخرة في صوته، وتوردت واستدارت لتنظر خارج النافذة، لاخفاء الدموع التي بدأت تتجمع. كان يجب ان يكون لديها المزيد من الادراك لتأتي معه، لكن متى كانت حكيمة في تعاملها

مع ليون؟ انعطفت السيارة الى الجسر المؤدي الى جزيرة سان لويس.

لم يمض شهر على دخول رينيه آخر مرة الى الغرفة المطلة على السين، وحيتها والدة ليون، لكن بالنسبة اليها تلك المناسبة بدت بعيدة الى ما لا نهاية، لأنها عندئذ لم تكن تعلم ان انطوانيت كانت حية، ومستقبلها المأمول كان مختلفاً جداً عما عليه الآن. الغرفة بدت أيضاً مختلفة جداً في ضوء الشمس عن ما كانت عليه في الوهج الرومنطيقي للاضواء المظللة. لقد بدت الآن اكثر شبهاً بمكان للعمل، وهكذا كان ليون يعاملها. ذهب مباشرة الى المكتب الكبير غير المرتب، وجالساً في الكرسي الدوار يقلب كومة من الاوراق وبدأ يكتب بسرعة. وقفت رينيه تنظر الى رأسه المنحني؛ كثيراً ما رأته هكذا، وقلبها انتفخ بالحب والاشتياق. بدون ان ينظر هو اخبرها لكي تجلس، وتجولت الى الكراسي المريحة الموضوعة أمام النوافذ الطويلة، ملقاة مكشوفة الى النهر والسماء. من نقطة مصلحتها فوق الموقد، وجه صورة انطوانيت ابتسم اليها بانتصار من تحت اكليل زهور زفافها. تعجبت رينيه اذا كانت قريباً سترتدي واحداً لأجل ليون. فتشت في محفظتها عن الخاتم الذي احضرته معها.

نهض ليون وتقدم نحوها، حاملاً مغلفاً.

«أنا اعطيتك سحباً على بنك لندن حيث لديهم حساب لسبستيان» اخبرها. اخذته بصورة ميكانيكية.

«أشكرك، يا مسيو» اخرجت الخاتم: «أنا يجب ان اعيد هذا. كان يجب ان افعل من قبل».

«هذا؟» نظر اليه على غير هدى: «آه، نعم، انا اتذكر. ألا تحتفظين به، يا رينيه؟ انا احب ان تأخذيه، وانا مدين لك بخاتم».

«أنا لا استطيع، انه ثمين جداً» وضعته على الطاولة؛ لا تستطيع ان تشرح ذلك الخاتم الى باري. الحجارة تلألأت في ضوء الشمس.

«هل تريدين شهادة؟» اقترح.

«اشكرك، لكنها لن تكون ضرورية، يا مسيو. كما قلت لك انا سوف اتخلى عن عرض الازياء».

«مؤسف».

مثل هذه الكلمات الرسمية، بينما قلبها كان يتحطم، نهضت عن كرسيها: «هل يمكنني الذهاب، يا مسيو، اذا كان هذا هو كل شيء؟».

«أنت لديك عينان جميلتان» اخبرها: «معبرتان، لكنهما لا تعبران عن افكارك الحقيقية، لقد ضللتاني اكثر من مرة».

«انه ربما كذلك» قالت بارتياح. فقط هي كثيراً ما خافت بأنها خدعت نفسها.

تنهد واعاد نظرته الى النافذة، حتى دخلت المرأة العجوز مع شرابين في كوبين طويلين مع الثلج.

ما زال واقفاً، رفع كوبه اليها.

«رحلة سعيدة، يا رينيه، وحظاً سعيداً!».

«أشكرك، يا مسيو».

خيم الصمت بينهما ثانية؛ ولكي تحطمه قالت بصور عادية قدر المستطاع.

«هل ستسافر، يا مسيو؟».

هز كتفيه: «عدة أيام في شاتوفيو، ثم اعمل ثانية. العمل هو كل ما اعيش لأجله».

لم يعلم بعد ان انطوانيت كانت عائدة اليه؛ لقد خطر ببالها ان ذلك كان غريباً بأنه لم يستعلم عنها بمزيد من الالحاح. يجب ان يعلم بأنها ستشفى، وكان ذلك بعكسه ليكون مثبط العزيمة بسهولة. الفتاة لم تكن في حالة عادية عندما اعلنت بأنها لن تسامحه. يجب ان يعلم ذلك.

طاردة الموضوع من ذهنها، لأنه لا يهمها، صفت كوبها ووقفت.

«أنا في الواقع يجب ان اعود الى البنسيون».

«اوه حسناً، انا سأعيدك» لكنه لم يتحرك: «يا رينيه، انه من الصعب تركك تذهبين».

«يا مسيو، انه من الصعب علي ان اذهب» قالت في

همس، وعيناها امتلأتا بالدموع. عبر الغشاوة رأت انه شبك يديه.

«يا الهي! ايتها الفتاة» قال بخشونة: «لا تنظري هكذا! أنا لست من جليد».

رفعت عينيها الى عينيه ورأت مثل هذا الكرب في اعماقهما السوداء وأن وميض الحقيقة اخترق غشاوة سوء التفاهم الذي اربكها طويلاً. لا ارادياً تقدمت نحوه، يدها ممدودة.

«يا ليون...» قالت، وانقطع صوتها.

تحرك ايضاً، لكن هذه المرة لم تنكمش عنه؛ عندما ذراعاه التفتا حولها.

«أنا لن افهم البريطانية» قال ليون في وقت لاحق. هما كانا يشاركان بنفس الاريكة، وأمسكها كأنه لا يطيق ان يدعها تذهب. ابتعد عنها قليلاً، لكنه عندما تقدم نحوها، تراجعت.

«هل سأستمر في العمل معك؟» سألت.

«انت بكل تأكيد لن تفعلي!».

«اذن، بدوني وبدون انطوانيت، من ستصنع عارضة ازياء؟».

لوح بيده بغموض: «ماذا يهم، يا شيري؟ انا سيكون لدي ما هو اهم بكثير، زوجة احترمها».

اخذها بين ذراعيه، وفي الغرفة الهادئة، بينما نهر السين يتمتم تحت النوافذ المفتوحة، ورنينه عرفت ان الفرحة الكاملة للحب قد عادت.